أجاثا كريستي

أصابع الإتهام

ترجمة
احمد حسن

الحرية
للنشر والتوزيع

اسم الكتــاب	أصابع الإتهام
ترجـــمـــة	أحمد حسن
النـــاشـــر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
	ت: ٢٢٦١٥٦٤٦ ـ ٢٥٧٤٥٦٧٩
	م: ٠١٢٣٨٧٧٩٢١.
رقم الإيداع	٢٠٠٧/٤٦٣٩
الترقيم الدولى	977-6100-154- X

الحريـــة للنشر والتوزيع
3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
0123877921 - 25745679

حادثة طيران

عندما رفع الطبيب الضمادات عن أطرافى وسمح لى بالوقوف على قدمى، قال الدكتور ماركوس كنت:

– أنصحك بشئ واحد، ان تأكل وتنام وتحاول قدر المستطاع أن تقلد المملكة النباتية..

لم يكن باستطاعتى أن أسأله عما اذا كنت أستطيع الطيران بعد ذلك مرة أخرى. فهناك أسئلة لا يجرؤ الانسان على توجيهها خوفا من الاستماع الى الرد عليها، ولكن الطبيب تطوع بالاجابة على السؤال الذى كان يؤرقنى قائلا:

– سوف تستعيد قواك تماما، ولكن الامر سوف يحتاج الى بعض الوقت والصبر، فعندما يتعلق الأمر بعودة الاعصاب والعضلات الى حالتها الطبيعية، فلابد للمخ من مساعدة البدن، وأى تعجل للشفاء يعرضك لنكسة خطيرة.. عليك أن تعيش حياة بطيئة الايقاع اذا كنت تريد العودة الى حالتك الطبيعية، ولا تنسى أن كثرة العقاقير المخدرة التى تناولتها قد اضعفتك الى حد بعيد. الروشتة التى أكتبها لك هى الذهاب الى الريف والتزام الراحة أطول فترة مستطاعة.. استأجر بيتا

فى الريف، حاول أن تندمج مع المجتمع الريفى، مستمعا الى ثرثرة الناس هناك.. واذا أردت فأنا أنصحك بالذهاب الى مكان ليس لك فيه أصدقاء..

هكذا ذهبت مع اختى جوانا لمقابلة العديد من السماسرة حتى وقع اختيارنا على بيت صغير فى ليستوك تتوافر فيه الشروط المطلوبة. كان البيت يقع على بعد ميل فى ليمستوك على حافة البرارى، وكان البيت أبيض اللون له شرفة صغيرة مطلية باللون الأخضر، يطل على بعض المروج الخضراء وكنيسة ليمستوك.

كان البيت ملكا لمجموعة من السيدات العوانس، لم تبق منهن سوى صغراهن المس اميلى بارتون، واعتذرت لجوانا بقولها انها ما كانت تفكر فى عرض البيت للايجار لولا الدخل القليل والضرائب، فضلا عن سعادتها بدخول دماء شابة الى المكان.

رأت جوانا أن تتدخل فى الحديث حتى لا تسترسل العجوز فى ثرثرتها، وقالت:

– أصيب أخى فى حادث طائرة وهو يحتاج الى فترة طويلة من الراحة.

وقالت المس بارتون باشفاق:

– يا الهى! يا له من خبر محزن.. شبان هذا اليوم شجعان..

– يبدو أنه سيكون مقعدا..

قالت جوانا مؤمنة:

- تقريبا .. كذلك سوف يكون حالى..

قالت المس بارتون مستدركة:

- يا لى من عجوز غبية.. كانت شقيقاتى أكبر منى، وعاشت أمى حتى السابعة والتسعين، لهذا فأنا متخلفة عن زمانى.. المشكلة الوحيدة فى البيت عدم وجود طفايات للسجائر..

قالت جوانا باسمة:

- لن نترك بقايا السجائر على اثاثك الجميل.. اعدك بذلك.

اتفقتا على استئجار البيت لمدة ستة شهور مع احتمال تجديد العقد لمدة ثلاثة شهور أخرى، وقالت المس بارتون انها شديدة الاسف لأنها سوف تترك البيت لتعيش فى غرفة صغيرة عرضتها عليها خادمتها السابقة المخلصة فلورنس التى تزوجت بعد آن قضت فى خدمتها أربعة عشر عاما، ويعمل زوجها فى البناء.

استقر بنا الحال فى البيت الصغير، ووافقت باتريدج خادمة المس بارتون على البقاء معنا، وكانت تجئ لمساعدتها فى كل صباح فتاة لطيفة رغم أنها قريبة من البلاهة.

كانت باتريدج ضخمة الجسم فى أوسط العمر، بارعة فى الطهى.

جاءت المس بارتون لزيارتنا بعد أسوع من وصولنا فى صحبة مسز سيمنجتون زوجة المحامى، ومس جريفيث شقيقة الطبيب المحلى، ومسز دين كالثروب زوجة راعى الكنيسة. والمستر باى من أصحاب الأملاك.. واعربت جوانا عن دهشتها لمجئ الضيوف ومعهم أوراق اللعب.

وقلت لها: لانك لا تعرفين شيئا عن سكان الريف.

وقالت جوانا:

- هراء.. لقد قضيت كثيرا من عطلات نهاية الاسبوع فى الريف..

لما كنت أكبر جوانا بخمسة أعوام، واذكر الاوقات التى كنا نقضيها فى العطلات والاعياد عند عمتى فى لندن حيث نقضى الوقت فى الذهاب الى السينما أو التجديف، قلت لها:

- سوف تبدو لك الاقامة هنا كئيبة مملة..

كانت جوانا شابة رائعة الجمال، مولعة بالرقص وحفلات الكوكتيل، والانغماس فى المغامرات العاطفية وركوب السيارات السريعة.. ضحكت جوانا وهى تقول:

- أنا سعيدة فى الواقع لأننى سوف ارتاح من تلك الحياة الصاخبة.. لقد أحسست فى الواقع بالوحدة بعد انقطاع صلتى ببول، وسوف احتاج الى زمن طويل لكى انساه..

كنت اختلف فى الرأى مع جوانا حول هذا الموضوع الأخير. فقد اعتدت أن أراها مستغرقة فى حب شاب وهى تتخيل انه عبقرى زمانه، وتظل تستمع الى شكاواه المتصلة حول عدم تقدير الناس له واعترافهم بعبقريته. حتى اذا قابل الشاب حبها بالنكران أصيبت بخيبة الأمل وخيل اليها أن قلبها تحطم تماما. حتى تلتقى بشاب آخر فى فترة لا تتجاوز فى العادة ثلاثة أسابيع..

لهذا لم آخذ كلامها عن بول على محمل الجد. ولكننى وجدت الحياة فى الريف خير علاج لها من حبها الفاشل.. وسألتنى جوانا:

هل أبدو فى خير حال؟

تأملتها جيدا بثوبها الاسبور، وقلت لها معاتبا:

– كلا.. كان الاجدر بك أن ترتدى جونلة طويلة تناسب جو الريف.. كذلك الحال بالنسبة لوجهك، فأنت تضعين الكثير من الاصباغ..

وسألتنى جوانا باهتمام:

– هل تعتقد أنهم سوف يروننى فظيعة؟

– كلا.. مجرد شئ غريب..

قالت جوانا بعد انصراف الزوار:

– أنهم يبدون اسرا سعيدة.. أعتقد أن المكان لطيف يا جيرى.. أنه مكان عتيق وسط هذا العالم الكبير، لا يمكن أن يخطر ببالك أن يقع فيه أى حادث مكدر.. ألا تشاطرنى هذا الرأى؟

رغم اننى كنت أعلم أن جوانا ليست جادة فيما تقول، الا اننى وافقتها، فلا يمكن أن تقع أى احداث محزنة فى ليمستوك، ولكن الشئ الغريب انه لم يمض سوى أسبوع واحد حتى تلقينا أول خطاب..

أعرف اننى بدأت قصتى بداية سيئة، ولم أعط وصفا دقيقا عن ليمستوك، ودون فهم حقيقة ليمستوك، فلن يسهل فهم قصتى..

أولا.. لـ ليمستوك جذور ممتدة فى الماضى منذ الغزو النورماندى، ولها ماض متصل بالكنيسة، فقد كان اللوردات والنبلاء فى المناطق المجاورة يتنازلون عن بعض أراضيهم وممتلكاتهم للكنيسة، مما جعل

المنطقة تنعم بالثراء والأهمية لبضعة قرون، وشيدت فيها خلال حكم هنرى الثامن قلعة تشرف على المدينة، وظلت حتى العصر الحاضر تتمتع بتلك الأهمية والثراء.. وانهارت القلعة فى القرن السابع عشر، وزحفت على المدينة تيارات الحضارة المعاصرة، وأصبح يقام فيها سوق كل أسبوع. الا أن خطوط السكك الحديدية والطرق الكبيرة لم تقترب منها، وكان يقام فى المدينة سباق للخيل مرتين كل عام، ويوجد فيها طريق رئيسى جميل على صفيه بيوت أنيقة، تحيط بها حدائق مزروعة بالخضراوات والفاكهة، وبها مجموعة من محلات البقالة والجزارة وبيع الأسماك، ومؤسسة قانونية باسم السادة جالبريث وسيمنجتون، وكنيسة قائمة منذ القرن الرابع عشر، ومدرسة وحانتان.. تلك كانت مدينة ليمستوك.. وبناء على الحاح المس بارتون، فقد توافد على زيارتنا كل من له أهمية فى المدينة الصغيرة، وكان ذلك شيئا مسليا بالنسبة لنا. فنحن لم نأت هنا للاستمتاع بالحياة الصاخبة، وانما تنفيذا لتعليمات الطبيب الذى نصحنى بالتزام الراحة وتسلية نفسى بأخبار الجيران والفضائح المحلية، وكنت اتساءل فى البداية كيف سأتعرف على تلك الفضائح..

ولكن الغريب فى الامر كان ذلك الخطاب الذى وصل ساعة الافطار، وكان خطابا مجهولا وغلافه مكتوبا على الآلة الكاتبة، وكان نص الخطاب عبارة عن كلمات مقطوعة من كتاب وملصقة على الورق، وما كدت أقرأ الخطاب حتى شحب وجهى وسألتنى جوانا بقلق عن الخطاب. فقلت لها:

-- خطاب من مجهول..

كنت لا أزال تحت وطأة الصدمة، وقالت جوانا:

- ماذا يقول الخطاب؟

وأخبرتها ان مرسل الخطاب يقول اننا لسنا أخا واخته، ارتبكت جوانا برهة ثم قالت باسمة:

- ربما كنت على حق عندما قلت اننى أسرف فى المكياج..

وعلقت على ذلك بقولى:

- فضلا عن أن أبانا كان أسود الشعر عريض الفكين، بينما كانت أمنا ناعمة الشعر زرقاء العينين، وقد أخذت عن أبى، بينما أخذت أنت عن أمى..

هزت جوانا رأسها مؤمنة وهى تقول:

- نعم.. لا يوجد ثمة شبه بيننا.. ولا أحد يستطيع أن يحكم من نظرته الينا اننا شقيقان.

وتداولنا فيما نفعله بالخطاب، واستقر رأينا فى النهاية على أن نتركه طعمة لنيران المدفأة، وهو ما نفذناه بالفعل وقالت جوانا:

- اننى لاتساءل.. من الذى ارسل الخطاب؟

واجبتها قائلا: من المحتمل الا نعرف شخصيته قط.. سكتت جوانا برهة ثم قالت:

- كنت أعتقد أنهم يرحبون بنا فى هذا المكان.

- نعم.. ولكن هذا العمل كريه.

عندما ذهبت جوانا لتستمتع بأشعة الشمس، اخذت افكر فى أمر تلك الرسالة الغريبة، يوجد شخص لا يروقه وجودنا، شخص يعترض على وجود جوانا بجمالها الصارخ وفكرت فى أن خير ما نفعله هو أن ننسى الموضوع برمته..

جاء الدكتور جريفيث فى نفس الصباح، وكنت قد اتفقت معه على زيارتى مرة كل أسبوع للاطمئنان على تقدم صحتى، وبمجرد أن رآنى الطبيب سألنى عما يقلقنى، وأخبرته بالخطاب المجهول، وقال:

– اذن فلقد تلقيتما واحدا من تلك الخطابات؟

وسألته باهتمام:

– هل تعنى أن هذه الخطابات متداولة فى المكان؟

– نعم.. منذ بعض الوقت.

أخبرت الطبيب أن جوانا قابلت الموضوع باستخفاف، وقال جريفيث:

– والمشكلة أنه طالما بدأ هذا الشئ فانه يستمر.. وهذه ظاهرة مرضية.

هززت رأسى مؤمنا، ثم سألته:

– هل لديك فكرة عن الشخص الذى يرسل مثل هذه الخطابات؟

– كلا.. وأعتقد أن وراء ارسال هذه الخطابات المجهولة سببين.. أما أن يكون الخطاب خاصا.. موجها لشخص معين أو مجموعة من الاشخاص. أى أن هناك دافع خاص كان يرسل الخطاب خادم مفصول

من الخدمة أو امرأة غيور.. ولكن الخطاب عندما يكون عاما وليس موجها لشخص بعينه. يكون الامر أكثر خطورة، لأن كاتب الخطاب ينفس عن رغبة مكبوتة أو حقد دفين، وهو انسان مريض. ويتضح أنه شخصية ابعد ما تكون عن الشبهات.. وقد حدث مثل هذا الشئ، في الجانب الاخر من المنطقة فى العام الماضى، واذكر أننى صادفت حالة كهذه أثناء خدمتى فى الشمال واتضح أن الدافع هو الحقد، واصارحك القول أن هذا الموضوع يخيفنى.

وسألته: هل بدأت حكاية الخطابات المجهولة منذ زمن طويل؟

– كلا.. ولكننى أعتقد أن بعض من يتلقون مثل هذه الرسائل لا يتحدثون عنها ويحرقونها.

سكت الطبيب برهة ثم استرسل يقول:

– أنا نفسى تلقيت واحدا من تلك الخطابات، كذلك الحال مع سيمنجتون المحامى، كذلك عرفت من اثنين من زبائنى الفقراء أنهم تسلموا خطابات مجهولة..

– وهل كانت الخطابات تدور حول نفس المعنى؟

– نعم.. كلها حول الجنس.. كان الاتهام الموجه لسيمنجتون انه على علاقة مع الكاتبة فى مكتبه رغم أنها سيدة فى الأربعين وأسنانها مثل أسنان الأرنب.. أما الخطاب الذى تلقيته فكان يتهمنى باستغلال مهنتى مع زبائنى من النساء.. الخطابات صبيانية سخيفة ولكنها تثير القلق.. وأخشى أن تنتج عنها عواقب وخيمة، خاصة عندما ترسل الى أشخاص غير مثقفين ممن يصدقون كل كلمة مكتوبة..

وقلت له شارد اللب:

- كانت لهجة الخطاب تدل على انها مرسلة من شخص لم ينل قسطا كبيرا من التعليم.

وسأل الطبيب بانفعال:

- حقا؟

لا أستطيع أن أدعى أن وصول الخطاب المجهول لم يسبب لنا بعض الضيق، ولكنه فى نفس الوقت سرعان ما ذهب طى النسيان..

أما بالنسبة للحادث الثانى فقد وقع بعد أسبوع، عندما أخبرتنى باتريدج أن مساعدتها بياتريس سوف تتغيب عن العمل ذلك اليوم، واضافت:

- أعتقد يا سيدى أن شيئا ضايقها.

ظننت فى البداية أنها تقصد تغيب بياتريس بسبب مغص فى المعدة، وقلت لها:

- أرجو أن تتحسن حالتها بسرعة.

قالت باتريدج: صحة الفتاة على ما يرام يا سيدى.. انها تحس أن مشاعرها جرحت.. بسبب خطاب وصلها فيه بعض التجريح..

ادركت من نظرات باتريدج اننى المقصود بالغمز الوارد فى الخطاب وتعجبت غاية العجب أن يقحمنى مرسل الخطاب المجهول فى علاقة ببياتريس وأنا شبه مقعد أسير مستعينا بعاكزين. وقلت مغتاظا:

- يا له من عبث!

– كانت تلك نفس الكلمات التى قلتها لام الفتاة.. وأصارحك القول يا سيدى أن صديق بياتريس الذى يعمل فى الجراج سبق أن تلقى واحدا من تلك الخطابات الخبيثة. وكان تصرفه غير حكيم بالمرة..

وقلت لها غاضبا: لم أسمع بشئ بغيض كهذا طوال عمرى..

– هذا رأيى أيضا يا سيدى.. ولكن كما يقول المثل: لا يوجد دخان بغير نار..

خرجت فى نفس الصباح ماشيا الى القرية –وأنا وجوانا نسميها قرية– وكانت الشمس ساطعة رغم برودة الهواء، سرت مستعينا بالعكازين ورفضت أن تصحبنى جوانا.. وأخبرتها اننى ذاهب الى مكتب المحامى بشأن مسألة قانونية تتعلق بتمويل بعض الأسهم، ثم سوف أذهب الى المخبز ثم أعيد كتابا سبق أن استعرته، كما سأذهب الى البنك.. وتم الاتفاق بيننا على أن تنتظرنى بسيارتها لتعيدنى الى البيت وقت الغذاء.. ولكننى لم أذهب الى المدينة وحدى، فلم أكد أسير مائتى ياردة حتى سمعت صوت جرس دراجة خلفى، ثم صوت الفرامل، والتفت لارى ميجان هنتر تسقط مع دراجتها تحت قدمى، وقالت الفتاة وهى تنفض التراب عن ثيابها: هالو!

شعرت بالميل نحو ميجان منذ رأيتها للمرة الأولى، كما احسست بالشفقة نحوها.. وكانت ميجان ابنة زوجة المحامى سيمنجتون من زوجها الأول.. وكان الناس لا يتحدثون كثيرا عن المستر أو الكابتن هنتر.. وسمعت أنه كان يعامل مسز سيمنجتون معاملة سيئة وأنها طلقت منه بعد عامين من زواجهما.

ونظرا لأنها كانت على درجة من الثراء، فقد صحبت ابنتها الى هذه القرية حيث تزوجت من الرجل الأعزب الوحيد الذى يليق بها.. سيمنجتون.. لم تكن ميجان تشبه أمها. فقد كانت الام رقيقة على درجة مقبولة من الجمال. الا أن صحتها معتلة وهى لا تفتأ تتحدث عن مشاكلها مع الخدم وصحتها المعتلة.. بينما كانت ميجان تبدو دائما فى ثياب رثة وجواربها الرخيص مملوء بالثقوب، ورغم أنها بلغت العشرين، الا أنها تبدو كطالبة مدارس فى السادسة عشرة، وقالت بلهجتها السريعة المعهودة:

– ذهبت الى مزرعة لاشر لاشترى بعض البيض.. لديهم فى المزرعة مجموعة كبيرة من الخنازير الصغيرة اللطيفة.. هل تتصور اننى أحب رائحة الخنازير؟

وقلت لها: ولكن الخنازير التى تلقى رعاية جيدة لا تصدر عنها رائحة..

– أحقا؟ كل الخنازير هنا لها رائحة.. رأيتك تمشى وحدك ففكرت فى أن أقف لامشى معك، غير أنى توقفت فجأة فوقعت..

– لقد تمزقت جواربك..

نظرت ميجان الى ساقها اليمنى ثم قالت:

– كان فى الجوارب ثقبان قبل سقوطى ليس للامر أهمية..

– ألا ترفين جواربك قط يا ميجان؟

– أحيانا.. عندما تلاحظ أمى تمزق جواربى، ولكنها فى الواقع لا تكاد تحس بوجودى.. وهذا من حسن حظى. أليس كذلك؟

- ألا تدركين أنك أصبحت شابة؟

- هل تعني أنه يجب علي أن أبدو مثل اختك؟ ارتدي ثيابا انيقة وأصبغ وجهي كالدمية؟

لم تعجبن كلماتها عن أختي، وقلت لها:

- أنها تبدو نظيفة ومرتبة يسر العين أن تنظر اليها..

قالت ميجان مترددة: أنها رائعة الجمال.. أنها لا تشبهك قط.. ما السبب؟

- لا يتشابه الاخ والاخت دائما..

- كلا بالطبع.. أنا أيضا لا أشبه بريان أو كولين، كما أن بريان وكولين غير متشابهين.

سرنا صامتين لمدة دقيقة أو دقيقتين، ثم قالت ميجان:

- أنت تطير.. أليس كذلك؟

- نعم..

- كان ذلك سبب اصابتك..

- نعم.. تحطمت طائرتي..

- لا أحد هنا يطير..

- هل تحبين الطيران يا ميجان؟

بدت الدهشة على وجهها وقالت:

- أنا؟ يا الهي.. كلا.. انني أشعر بالمرض عندما اركب القطار.

سكتت برهة ثم سألتنى عما اذا كنت سأشفى وأتمكن من الطيران مرة أخرى، وقلت لها أن الطبيب طمأننى الى أننى سأشفى، وقالت:

- هل هو الطراز الذى اعتاد الأكاذيب؟

- لا أظن.. أننى اثق فيه..

- ولكن عددا كبيرا من الناس مولع بالأكاذيب.

سألتنى لماذا اغضب بسرعة، وقلت لها اننى أتعجل الشفاء، وسألتها بدورى:

- يا فتاتى العزيزة.. ألا تتوقين لوقوع الاحداث بسرعة؟

ترددت ميجان برهة قبل أن تقول:

- كلا.. ولم أتعجل الاحداث؟ لا شئ يحدث هنا بالمرة.

- كيف تستمتعين بحياتك هنا؟

- ما الشئ الموجود حتى اعمله؟

- أليست لك هوايات؟ ألا تمارسين بعض الألعاب؟ أليس لك أصدقاء؟

- لست بارعة فى الألعاب، ولا توجد فتيات كثيرات هنا، والموجودات لا يعجبننى، فهن يعتبروننى انسانة فظيعة.

- هراء.. لماذا؟

هزت ميجان رأسها ولم تجب، وسألتها عما اذا كانت قد تعلمت فى المدارس. وأخبرتنى انها عادت من المدرسة منذ عام، وسألتها عما اذا

كانت قد استمتعت بدراستها، فقالت:

- لم تكن الدراسة سيئة.. رغم أنهم يعلموننا الاشياء بطريقة فظيعة..

- ماذا تعنين بذلك؟

- حسن.. يعلمونك نتفا من الاشياء.. كانت مدرسة رخيصة والمدرسون غير قادرين على الرد على الاسئلة.. أنا غبية بالطبع، ولكن التاريخ على سبيل المثال.. لماذا ترى فيه اختلافات كثيرة بين كتاب وآخر؟

- هذا الذى يعطى التاريخ أهميته الحقيقية.

- وقواعد اللغة.. وموضوعات الانشاء الغبية.. وكل ذلك الهراء الذى كتبه شيللى وشكسبير..

سألتها باهتمام: وماذا بشأن شكسبير؟

- الطريقة التى يلوى بها الكلمات بطريقة يصعب على أن أفهم ما يقصده، ومع هذا فأنا أحب بعض اعمال شكسبير.

- ألم تكن هناك مواد تحبينها؟

- الحساب فقط.

وقلت بدهشة الحساب؟

اشرق وجه ميجان وهى تقول:

- أحببت الحساب رغم أنه يدرس بطريقة فظيعة.. كم أحب أن أتعلم الحساب بطريقة جيدة. يخيل الى أنه توجد فى الارقام نفحة

الهية.. ألا تشاركنى هذا الرأى؟

قلت لها بصدق:

- لم أفكر فى ذلك من قبل.

كنا قد اقتربنا من الشارع الرئيسى، وقالت ميجان بحدة: هذه هى المس جريفيث.. المرأة الكريهة.

- ألا تحبينها؟

- أننى أمقتها.. أنها تطاردنى دائما لكى انضم الى المرشدات.. أنا أكره المرشدات.. لماذا ارتدى ذلك الزى وأضع الشارة لشئ لم أتعلمه جيدا..

كنت أتفق الى حد ما فى الرأى مع ميجان، ولكن المس جريفيث كانت قد انضمت الينا قبل أن آجيب على ميجان.

كانت ايمى جريفيث تتمتع بقدر كبير من الثقة بالنفس على خلاف أخيها الطبيب، وكانت سيدة وسيمة طباعها اقرب للرجال ذات صوت دافئ عميق، وقال بحرارة:

- مرحبا بكما.. يوم رائع.. أليس كذلك؟ أنت يا ميجان الشخص الذى كنت أرغب فى مقابلته، أريد منك المساعدة فى كتابة العناوين على مظروفات بعض الرسائل الموجهة لجمعية المحافظين.

تمتمت ميجان ببعض كلمات غير واضحة، واسندت دراجتها على الرصيف وأسرعت الى داخل أحد المخازن.

وقالت المس جريفيث:

– فتاة غريبة الاطوار.. كسولة للغاية، تقضى معظم أوقاتها فى اللف والدوران.. لا شك أنها عبء ثقيل على عاتق المسز سيمنجتون، أعرف أن أمها حاولت أكثر من مرة أن تشغلها بعمل نافع.. الاختزال أو الطباعة على الآلة الكاتبة أو تربية الأرانب.. هذه الفتاة فى حاجة الى شئ يشغلها..

سكتت المس جريفيث برهة ثم أردفت تقول:

– أنا لا أؤمن بحياة الكسل خاصة بالنسبة للشباب.. خاصة وأن ميجان ليست حسناء أو جذابة.. يخيل الى فى بعض الاحيان أن هذه الفتاة نصف بلهاء.. وهذا يكسر خاطر أمها.. كان أبوها رجلا سيئا وأخشى أن تكون الفتاة قد ورثت بعض طباعه.

أطلقت ايمى جريفيث ضحكة مرحة وهى تقول:

– أنا لا أحب الكسل واتمنى لكل انسان أن يستمتع بالحياة.. أنا شخصيا استمتع بحياتى وأرجو للجميع أن يفعلوا مثلى.. يقول لى البعض أن الحياة فى الريف مملة ولكننى لا أوافقهم على هذا الرأى.. فأنا مشغولة دائما وسعيدة على الدوام.. كل وقتى مشغول مع مرشداتى، وفى الاجتماعات، فضلا عن رعايتى لـ أوين.

شاهدت مس جريفيث احدى معارفها على الجانب الآخر من الطريق وحيتنى مسرعة للقاء صديقاتها.. كان يعجبنى فى ايمى جريفيث طاقتها وحيويتها..

انتهيت من مهمتى فى البنك، وتوجهت الى مكتب المحامى، والتقيت بالمستر سيمنجتون لاعرض عليه المستندات التى احضرتها، آخذت

أدرس المستر سيمنجتون بينما كان مشغولا فى فحص الأوراق.. كان رجلا طويل العنق تبرز منه تفاحة آدم، شاحب الوجه له أنف طويلة رفيعة، رقيق شديد الهدوء، مما أوحى الى أن المسز سيمنجتون تستمتع معه بحياة هادئة بعد زواجها الأول الفاشل، وقفت استعدادا للخروج، وأخبرته اننى التقيت بابنة زوجته فى الطريق، قال لى بشرود:

– أه.. أه.. ميجان.. أنا أحاول ان ابحث لها عن عمل مناسب.. انتهت من دراستها منذ بعض الوقت.. وهى ما تزال صغيرة ولكنها متخلفة عن عمرها الحقيقى.. هكذا يقولون لى..

غادرت المكتب ووجدت فى الغرفة الخارجية رجلا عجوزا مشغولا بالكتابة، وغلاما صغيرا نحيلا، وسيدة فى منتصف العمر ذات شعر مجعد وتلبس نظارة مشبوكة بالأنف تكتب على الآلة الكاتبة، ووافقت الدكتور جريفيث، لو أن هذه هى المس جينشى فليس من المحتمل أن تكون هناك علاقة حب بينها وبين مخدومها.

ذهبت الى المخبز واشتريت رغيفا طازجا، ثم خرجت الى الطريق لابحث عن جوانا، ولكننى لم أر لها أثرا ولا للسيارة، وكان المشى قد أرهقنى وأنا أحمل الرغيف واستند على العكازين، ووقعت عيناى فجأة على منظر لا يصدقه العقل.. كانت تخطوا على الرصيف شابة حسناء أقل ما توصف به انها ملاك طائر!

كانت بشعرها الذهبى وتقاطيعها الجميلة صورة للجمال المثالى. أحسست بأنفاسى تحتبس وأنا أنظر اليها وهى تزداد اقترابا منى، وسقط الرغيف من يدى وفى غمرة ارتباكى اختل توازنى وكدت أقع على الأرض، وأسرع الملاك الى نجدتى واسندنى بذراع قوية. وقلت

متلعثما :

– شكرا جزيلا.. أنا فى غاية الأسف..

انحنت الحسناء والتقطت الرغيف وناولته لى باسمة.. ثم قالت بجذل:

– لا داعى للأسف.. لم يحدث شئ..

عند استماعى الى الصوت، انطفأ فجأة السحر الذى استولى على مشاعرى منذ قليل، ولم أعد أر أمامى سوى فتاة حسناء تتمتع بالصحة.. ولا أكثر من ذلك.

وجدت جوانا بجوارى فجأة وأنا اتابع الحسناء بنظراتى وسألتها عما اذا كانت تعرف الفتاة، قالت جوانا :

– هذه هى التى استولت على مشاعرك؟ انها ملفتة للنظر ولكنها أشبه بالسمكة الميتة..

فتحت لى جوانا باب السيارة وهى تقول:

– أليس من الغريب أن تبدو بعض الفتيات فاتنات المظهر ولكنهن محرومات من الجاذبية الجنسية.. هذه الفتاة واحدة منهن.

ذهبنا بعد ظهر ذلك اليوم لتناول الشاى مع المستر باى.. والمستر باى رجل ضئيل الحجم أكثر شبها بالنساء، شديد الاعجاب بقطع الاثاث والتحف القديمة التى يضمها مسكنه المسمى (بريور لودج) والذى أقيم على الأرض التى كان يوجد فيها الدير القديم.. وكانت المتعة الرئيسية للمستر باى أن يطلع زواره على مقتنياته، ويبدو بيته

أشبه بالمتحف..

أعربنا له عن اعجابنا عما يضمه من تحف، وأعرب المستر باى بدوره عن استيائه من أهل المنطقة الذين لا يستطيعون التمييز بين قطعة عصرية وأخرى عتيقة وقال:

- لماذا تعمى أبصار الناس الى هذا الحد؟ لعلكما توافقانى على أن الجمال هو الشئ الوحيد فى الحياة الذى يستحق أن نعيش من أجله..

تحدث المستر باى بعد ذلك عن مسكن المسز بارتون الذى استأجرناه، وقال أنه يضم بعض القطع ذات القيمة وان كانت المس بارتون لا تعرف قيمتها وتتركها فى اماكنها دون عناية، لمجرد أنها ورثتها عن أمها..

التفت المستر باى نحوى موجها حديثه الى قائلا:

- أنت لا تعرف قصة الاسرة جيدا.. عندما وصلت الى هذا المكان كانت الام لا تزال على قيد الحياة.. شخصية خرافية.. وحش حقيقى.. تمتص دماء صغارها.. كانت شديدة الضخامة وبناتها الخمسة يحيطون بها دائما.. وكانت تقول عنهن دائما (البنات) فى حين كانت كبراهن فى الستين من عمرها..

وكانت تقول عنهن أحيانا (البنات الحمقاوات!) كانت تستعبدهن ولا تستطيع احداهن أن تبدى رأيا معارضا لرأيها.. كانت نحتم عليهن بالنوم فى الساعة العاشرة ولا تسمح بايقاد نيران المدفأة فى غرف النوم، ولا تسمح لهن بدعوة اصدقائهن الى البيت.

كانت تحتقرهن لانهن لم يتزوجن رغم أن تربيتها لهن كانت تحول دون تعرفهن على أحد .. ماتت الام بعد ذلك ولكن الوقت كان متأخرا، واستمرت حياة البنات وهن يتحدثن عن الام الراحلة همسا، وماتت الواحدة بعد الأخرى.. قضت الانفلونزا على اديث، وماتت مينى على أثر عمليه جراحية او اصيبت مابل بأزمه فظلت اميلى تمرضها عشر سنوات قبل أن تموت.. وبقيت اميلى وحدها تواجه ازمة مالية من جراء انخفاض قيمة الاسهم.

وقالت جوانا: هذه مأساة محزنة.

بينما كنا نستعد للإنصراف، رأينا خطابا على الأرض. وقال المستر باى: بريد بعد الظهر..

وانحنى المستر باى ليلتقط الخطاب وهو يقول:

– لقد سعدت بزيارتكما التى أرجو أن تتكرر..

شد على ايدينا بحرارة مودعنا، وساعدنى على ركوب السيارة، ولوحت له جوانا بيدها. ولكن مضيفنا لم يرد على التحية وظل واقفا فى مكانه ينظر الى الرسالة بين يديه شاحب الوجه. وأدركت فى تلك اللحظة أن الرسالة هى سبب اضطرابه، ولكننى لم أتصور وقتها انه تلقى واحدة من تلك الرسائل المجهولة..

وقالت جوانا بقلق:

– من الذى يكتب تلك الرسائل؟

هززت كتفى وأنا أقول:

- كيف لى أن أعرف؟ أحد المجانين على ما أعتقد.

- ولكن ما هو الدافع؟

- يجب أن تقرأى فرويد ديونج لكى تعرفى السبب.. أو أن تسألى الدكتور أوين..

قالت جوانا باستياء:

- الدكتور اوين لا يحبنى.

- أنه لم يعرفك الا منذ زمن وجيز..

- أننى أسألك بجد يا جيرى.. لماذا يكتب الناس الخطابات الغفلة من الامضاء؟

- كما قلت لك الجنون.. أعتقد أنهم يفعلون ذلك أرضاء لرغبات دفينة.. عندما يحسون بتجاهل المجتمع لهم أو نتيجة احباط أو الاحساس بالفراغ..

- هل تعتقد أنه شخص غير متعلم وغير مهذب؟ مع تعلم أفضل..

لم تكمل جوانا الجملة ولم أقل شيئا. لأننى لم أكن أؤمن قط أن التعليم هو الدواء لكل داء..

بينما كانت جوانا تقود السيارة، رأت مجموعة من النساء القرويات، وتساءلت وأنا أتابعهن بنظراتى:

هل تحمل واحدة منهن ذلك القدر الكبير من الحقد على الناس؟ ورغم ذلك فلم أكن حتى تلك اللحظة آخذ الأمر على محمل الجد..

ذهبنا بعد يومين الى بيت سيمنجتون للعب البريدج، كان الوقت بعد

ظهـر يوم سـسـبت حـيث يكون مكتب المحـامى فى اجـازة، وكـانت هنـاك مـائدتان للعب، وضـمت قـائمـة اللاعـبين مـستـر ومـسز سيـمنجـتون، وأنا وجوانا، ومس جريفيث، مستر باى، مس بارتون، والكولونيل ابلتون الذى يقيم فى قرية على بعد سبعة أميال ولم تسنح لنا فرصة الالتقاء به من قبل، فى حوالى الستين من عمره، واستلفتت جوانا نظره لدرجة أنه لم يرفع بصره عنها طوال فترة بقائنا..

كـانت ايلزى هـولاند تبـحث عن بعض أوراق اللعب الاضـافـيـة وقت وصـولنـا، وهى مـربيـة الاطفـال بالمنزل، ونظرت اليـهـا نظرة عـادية على خلاف ما حـدث عندما رأيتها فى الطريق لأول مـرة، لكن الذى استلفت نظرى هذه المرة أسنانهـا التى تشبـه شواهد القـبور وظهور لثتها عـندما تفتح فمها أثناء الضحك..

توجهت المس هولاند نحو مسز سيمنجتون بالحديث قائلة:

هل أطلب من اجنيس تقديم الشاى فى الخامسة؟

سوف أخذ الصغار الى الحديقة حتى لا يتسببوا فى ازعاجكم.

فكرت فى انهـا فـتاة ذكيـة، والتقت عـيناى بعينى جـوانا التى كـانت تضحك.. لقد كانت تدرك دائما ما يجول بخاطرى عليها اللعنة..

اتخذنا أماكننا للعب، وشغلت نفسى بدراسة طريقة لعب كل واحد من الموجودين. واتضح لى ان مسز سيمنجتون لاعبة ماهرة. وأن زوجها شديد الحذر. ثم ذهبنا الى غرفة المائدة لتناول الشاى، وفوجئنا بعد قليل بدخول ولدين صغيرين اخبرتنا مسز سيمنجتون أنهما ابناها، وأشرق وجه الأب وهو ينظر الى ولديه باعتزاز، ولاح لى شبح يقف فى

مدخل الشرفة، وقالت الأم:

- أوه.. هذه ميجان.

كان صوتها يوحى بالدهشة كأنها نسيت وجود ميجان تماما، وقالت:

- أخشى أن أقول لك أننى نسيت الشاى الخاص بك.. فقد خرجت المربية مع الأطفال..

أومأت ميجان برأسها وقالت أنها سوف تصب الشاى لنفسها فى المطبخ، وانتظرت الام خروجها قبل أن تقول:

ابنتى المسكينة ميجان.. انها فى السن الحرجة.. البنات يكن خجولات فى هذه السن..

وقالت جوانا معترضة:

- ولكنها فى العشرين.. أليس كذلك؟

قالت الأم فى شئ من الارتباك:

- أوه.. نعم.. نعم، ولكنها ما تزال طفلة.. اعتقد أن كل الامهات يسعدهن على أن تظل بناتهن أطفالا..

شعرت فى تلك اللحظة بالنفور من المسز سيمنجتون، وبدت لى امرأة انانية، واسترسلت الأم قائلة:

- أخشى أن أقول أنها ابنة صعبة.. حاولت أن أشغلها بشئ.. أعتقد أنه يمكن تعلم بعض الاشياء بالمراسلة كالرسم والخياطة، أو تعلم الاختزال والآلة الكاتبة.

احمر وجه جوانا من الغضب وقالت بانفعال:

- اعتقد أنك سوف تسمحين لها بحضور حفلات الرقص.

- لا يوجد لدينا شئ من هذا فى مجتمعنا الريفى..

- وما رأيك بالنسبة لممارسة العاب التنس

- ملعب التنس الوحيد بالمدينة مهجور منذ زمن طويل.. بينما كانت ميجان تقود السيارة فى طريق عودتنا الى البيت.

قالت: اننى أشعر بأسف شديد نحو تلك الفتاة. لا أظن أن أمها تحبها.

وقلت لها: لا أظن الامر على هذه الدرجة من السوء..

- بل هذه هى الحقيقة.. كثير من الامهات يكرهن ابناءهن.. وأعتقد أن ميجان تعانى من ذلك وهى على قدر كبير من الحساسية ضحكت جوانا فجأة وهى تقول:

- كنت سيئ الحظ مع المربية! تمثال جميل ولكنها تخلو من الجاذبية الجنسية.

تطرق الحديث بعد ذلك الى بول، وقلت انها بعد وقت قصير سوف تنساه تماما بحيث لو سألها سائل عن بول قالت:

- من بول هذا؟ وقلت لها معابثا لايوجد فى هذا المجتمع من يثير انتباهك سوى أوين جرينث. الا اذا كنت تفكرين فى الكولونيل ايلتون الذى لم يرفع بصره عنك طوال فترة اللعب.

- ضحكت جوانا عاليا ثم قالت:

– ربما كنت على حق بالنسبة لاوين.. وسوف يكون لعبتى.. لاننى لا أتسامح مع شخص يلتقى بى فى الطريق ويدير بصره الى الناحية الأخرى..

– دعينى أسدى اليك نصيحة يا جوانا.. ليس أوين جريفيث من ذلك الطراز الذى تعرفينه من الشبان العابثين. وما لم تكونى حذرة معه فقد تتعرضين الى خطر جسيم..

– أوه.. أهذا هو رأيك؟

قلت لها بصرامة:

– دعى ذلك الشيطان البائس وشأنه.

– كيف يرانى ويعرض على بتلك الصورة المزرية؟

– انتن جميع النساء سواء.. سوف تكتسبين عداوة ايمى ايضا..

وقالت جوانا بامتعاض:

– أنها تكرهنى بالفعل.

قلت لها بحزم:

– لقد جئنا الى هذا المكان ننشد السلام والهدوء. وأنا مصر على تحقيق هذا الهدف..

ولكن السلام والهدوء كانا أبعد شئ قدر لنا ان نلقاه..



المقابلة

بعد حوالى الاسبوع، اخطرتنى باتريدج ان المسز بيكر ترغب فى مقابلتى، وعلمت أن المسز بيكر هى أم بياتريس.

وكنت قد نسيت كل شئ عن بياتريس.. كانت مسز بيكر سيدة فى أواسط العمر وخط المشيب رأسها، وخيل الى فى البداية أنها جاءت لتتهمنى بغواية ابنتها، ولكنها قالت:

– أرجو أن تغفر لى يا سيدى سماحى لنفسى بالمجئ اليك، ولكننى رأيت أنك الشخص المناسب لمساعدتى.. وأكون شاكرة لو نصحتنى بما ينبغى على أن أفعله فى الظروف الراهنة، لأنه يجب عمل شئ..

وقلت لها بارتباك:

– آه.. هلا.. تفضلت بالجلوس يا مسز بيكر؟

قالت بعد جلوسها:

– شكرا لك يا سيدى.. قلت لبياتريس التى كانت تبكى بحرارة أن المستر بيرتون سوف يعرف ما ينبغى الاقدام عليه من عمل. لأن الشبان

ينفعلون بسرعة ويرفضون الاستماع الى نداء العقل..

- أنا آسف، ولكننى لست أفهم ما تقصدين.. ما الذى حدث؟

- أنها الخطابات المجهولة يا سيدى.. تلك الخطابات الشريرة.. وكلماتها البذيئة..

- هل تلقت ابنتك المزيد من تلك الخطابات؟

- كلا يا سيدى.. لم يصلها غير ذلك الخطاب.. الخطاب الذى دفعها الى ترك العمل هنا.

- لم يكن هناك ثمة ما يستوجب.

قاطعتنى المسز بيكر قائلة:

- لا داعى لأن تخبرنى يا سيدى، فالذى جاء فى الخطاب كان مجرد اكاذيب حقيرة. فأنت انسان مهذب وفوق ذلك فأنت مريض، ورغم هذا فقد وافقت بياتريس عندما قررت ترك العمل، لأنك تعرف يا سيدى نتيجة الكلام.. لا يوجد دخان بغير نار.. هذا ما يقوله الناس.. وظننت أن هذه الخطوة سوف تضع حدا للشائعات، ولكن الموضوع الآن يتعلق بـ جورج.. صديق بياتريس الذى يعمل بالجراج.. لقد وصله واحد من تلك الخطابات يقول أشياء فظيعة عن بياتريس وكيف أنها على علاقة بأين فريد ليدبيتر.. وأؤكد لك يا سيدى كذب هذا الادعاء..

- تعنين ان الخطاب الذى وصل صديق بياتريس يتهمها بالارتباط برجل آخر؟

– نعم يا سيدى.. وثار غضب جورج وصرخ فى وجه ابنتى قائلا أنه لا يسمح لفتاته بمصادقة شاب آخر من وراء ظهره.. قالت بياتريس أن ذلك ادعاء كاذب ولكنه قال: لا يوجد دخان بغير نار، وغادر البيت غاضبا.. وقلت لابنتى اننى سوف أتى اليك. وسألتها: ولماذا تأتين الى؟

– لأننى علمت أنك تلقيت واحدا من تلك الخطابات. وحيث أنك سيد مهذب من لندن، فلابد أن تعرف كيف تتصرف فى مثل هذا الوضع.

– لو اننى كنت مكانك لذهبت الى الشرطة..

– الشرطة؟! كلا يا سيدى.. أنا لم اتعامل قط مع الشرطة.. لا أحد منا فعل ذلك..

– ولكن رجال الشرطة هم الوحيدون القادرون على علاج هذه المشكلة.

اعترضت المسز بيكر بشدة وهى تنظر الى غير مصدقة ان هذا هو الحل الوحيد، وعندما اكدت لها أن هذا هو رأيى قالت فى ضيق:

– يجب ايقاف هذه الخطابات يا سيدى.. سوف تقع اضرار بالغة ما لم توقف هذه الخطابات.

– يبدو لى أن الاضرار قد وقعت بالفعل.

– كنت اعنى العنف يا سيدى.. هؤلاء الشبان يلجأون للعنف عندما يفقدون أعصابهم.. كذلك المسنون.

وسألتها عما اذا كان عدد الخطابات يزيد. فقالت:

– ان الامر يزداد سوءا يا سيدى.. كان المستر والمسز بيدل زوجين سعيدين.. وهما يفكران الآن فى أشياء كريهة..

رغم أننى لم أكن أتصور أن تذكر اسما بعينه. الا انها قالت على الفور:

– نعم.. انها المسز كليت.. هذا ما يعتقده الجميع.. انها المسز كليت بكل تأكيد.

وعندما سألتها عمن تكون مسز كليت، اخبرتنى انها زوجة بستانى تعيش فى كوخ بالقرب من المطحن. ولم تلق بقية اسئلتى اجابات مقنعة، وعندما كررت نصحى بالالتجاء الى الشرطة اعربت مسز بيكر عن استيائها وخرجت غير راضية.

فكرت فيما قالته مسز بيكر، وقررت انه طالما اجمع أهل القرية أن المسز كليت هى كاتبة الرسائل فلابد أن يكون الاتهام صحيحا. وقررت ان اذهب لعيادة الدكتور جريفيت لاعرض الامر عليه. وعندما حدثت الطبيب عن سبب زيارتى قال:

– ليس الامر بالبساطة التى تتخيلها.

– ألا تعتقد أنها المسز كليت؟

– قد تكون مرسلة الخطابات.. ولكننى استبعد هذا الاحتمال.

– ولماذا يجمع أهل القرية على اتهامها؟

ابتسم الدكتور جريفيت ثم قال:

– أوه.. انت لا تفهم.. المسز كليت هى الساحر المحلى.. قد يبدو

هذا غـريب اليـوم.. هناك اعـتـقـاد فى الريف بأن بعض الاشـخـاص يمتلكون قدرات خاصة. وانهم قادرون على الحاق الاذى بالآخرين، ومن ثم يتودد الناس اليهم تجنبا لشرهم.. والمسز كليت واحدة من هؤلاء... ومن ثم يعتقدون أنها وراء ارسال هذه الخطابات.

- ولكنك لا ترى أنها الفاعل؟

- كلا.. ليست هى.. ليس الامر بهذه البساطة..

قلت له بفضول: هل لديك فكرة عن الفاعل؟ هز الطبيب رأسه وهو شارد اللب ثم قال:

- كلا.. ولكننى لا أحب هذه اللعبة يا بيرتون.. لأنه سوف يقع شر جسيم..

عندمـا عدت الى البيت وجدت ميـجـان جالسـة على درجـات سلم الشرفة، وحيتنى بطريقتها الباردة، ثم قالت:

- هل تعتقد أننى أستطيع تناول الغذاء معكم.

وقلت لها: بالتأكيد..

طلبت من باتريدج أن تعد طعـامـا لثلاثة أشخاص، ثم عـرضت سيجارة على ميجان التى احمر وجهها وقالت:

- هذا لطف منك..

- ألن تأخذى سيجارة؟

- كـلا.. ولكنها كـانت لفتـة لطيـفـة من جـانبك أن تعـرض على سيجارة.. كما لو أننى كنت انسانا حقيقيا.

- ألست انسانا بالفعل؟

هزت ميجان رأسها وغيرت موضوع الحديث قائلة انها اصلحت جواربها، وسألتنى عما تفعله اختى عندما تجد ثقبا فى جواربها، وقلت لها أن جوانا ترمى الجوراب المثقوب وتشترى واحدا جديدا. وقالت ميجان:

- هذا تصرف عاقل، ولكننى لا أستطيع أن أفعل ذلك. لأننى احصل على راتب لا يزيد عن اربعين جنيها فى السنة.

هزت رأسها موافقا، وبادرتنى ميجان فجأة قائلة بعنف:

- أعتقد أنك تعتبرنى فظيعة مثل الآخرين؟

فوجئت بالسؤال وفتحت فمى مدهوشا وسقط الغليون من يدى على الأرض وتحطم، وقلت لها:

- هل رأيت ما فعلته؟ وماذا كنت تقولين قبل وقوع الكارثة؟

- كنت أقول: أعتقد أنك تعتبرنى فظيعة.

- ولماذا يساورك هذا الاعتقاد؟

قلت بأسى: لأننى كذلك بالفعل.

قلت لها بحدة: لا تكونى غبية.

هزت رأسها ثم قالت:

- أننى لست غبية بالفعل وان كان الناس يرون ذلك.. أظنهم لا يعرفون أننى فى أعماق نفسى أعرف حقيقة باطنهم، وأننى أكرههم أشد الكره.

- تكرهينهم؟

- نعم..

التمعت عيناها ببريق جنونى ثم أردفت تقول:

- لو كنت مثلى لشعرت بالكراهية نحوهم.. لو انك احسست أنك انسان غير مرغوب فيه.

- ألم تفكرى فى أنك مريضة؟

- نعم.. هذا ما يقوله الناس دائما عندما نقول لهم الحقيقة.. وهو صحيح أننى غير مرغوب فيها واعرف السبب.. أمى لا تحبنى قط، اعتقد اننى اذكرها بأبى الذى كان يعاملها بقسوة.. وهى لا تفكر الا فى نفسها وزوجها وولديها..

قلت لها ببطء:

- مازلت أعتقد أنك مريضة يا ميجان، واذا سلمت بأن بعض ما تقولينه صحيح، فلماذا لا ترحلين وتعيشين حياتك كما تشائين؟

ابتسمت ابتسامة طفولية وقالت:

- تعنى أن أعمل لاكسب قوتى؟ أى عمل ازاوله؟

- الاختزال.. الكتابة على الآلة الكاتبة.. مسك الدفاتر..

- لا أعتقد أننى أستطيع ذلك.. اننى غبية فى مثل هذه الأشياء.. ولماذا أرحل؟ لماذا يرغمنى أحد على الرحيل؟ سوف أبقى لاسبب الندم للجميع.. سوف اجعلهم يندمون.. الخنازير الكريهة.. انى أمقت كل انسان فى ليمستوك، وسوف أريهم.. سوف... كان غضبا صبيانيا.

وسمعت وقع أقدام تقترب، وطلبت من ميجان أن تذهب الى الحمام لتغسل وجهها بسرعة، وأسرعت ميجان الى الحمام، وكانت جوانا هى القادمة وأخبرتها ان ميجان تغتسل فى الحمام. وأنها ستبقى معنا على الغذاء. وعندما ظهرت ميجان قالت لها جوانا:

- هالو! أنا سعيدة لانك ستتناولين الغذاء معنا.. اشبكت جوانا ذراعها بذراع ميجان ودخلا سويا..

رأيى اننى اغفلت فى قصتى ذكر اى شئ عن القس كاليب دين كالثروب وزوجته المسز دين كالثروب، رغم انهما من الشخصيات المهمة، أما بالنسبة للقس فهو مستغرق فى ابحاثه ودراسته لتاريخ الكنيسة، وبالنسبة لزوجته فهى شخصية مرهوبة من الجميع. رغم أنها ترقب الامور من بعد ولا تتدخل بأى صورة فيما يجرى حولها من الأمور الدنيوية..

وقد التقيت بالمسز كالثروب فى الشارع الرئيسى فى اليوم التالى لزيارة ميجان لنا، وقالت مسز كالثروب:

- كنت أريد أن أتحدث معك حول تلك الرسائل المجهولة.. ما تلك القصة التى جئت بها الى هذا المكان عن الرسائل المجهولة؟

- أننى لم آت بها.. لقد كانت موجودة بالفعل.

- لم يتلق أحد واحدة منها قبل مجيئك.

- بلى تلقى بعضهم رسائل قبل قدومى.. كانت المشكلة قد بدأت بالفعل.

وقالت المسز كالثروب بقلق.

– يا الهى.. لا أحب هذا الشئ.. ليست هذه طباعنا.. حقيقة يوجد فى مجتمعنا الحسد والشر.. ولكننى لا أعتقد أنه يوجد بيننا من يكتب هذه الرسائل المجهولة.. وهذا ما يحزننى لانه كان ينبغى لى أن أعرف.

وسألتها: وكيف لك أن تعرفى؟

– أنا فى العادة أعرف كل شئ.. كنت أحس دائما ان هذه هى وظيفتى، فزوجى يلقى مواعظ جيدة وعلى زوجته أن تعرف كيف يحس الناس وكيف يفكرون. حتى ولو لم يكن فى مقدورها أن تفعل شيئا، وليست لدى أية فكرة عن ذلك العقل الذى توقفت عن اكمال جملتها برهة ثم أردفت تقول:

– وهى بالاضافة الى ذلك خطابات سخيفة.

– هل تلقيت واحدا من تلك الخطابات؟

– نعم.. تلقيت خطابين.. بل ثلاثة، نسيت كلماتها على وجه التحديد، ولكنها كانت تتحدث عن علاقة تربط بين زوجى وناظرة المدرسة.. سخافة مطلقة. لان زوجى ابعد الناس عن ارتكاب الآثم..

غيرت مسز كالثروب دفة الحديث وعادت تتحدث عن الخطابات المجهولة قائلة:

– توجد أشياء كثيرة كان يجب على تلك الخطابات أن تتعرض لها، وكان الشئ العريب انها تتجاهلها.

– ماذا تعنين بقولك هذا؟

– تقع كثير من جرائم الزنا هنا –وغيرها من الآثام..

- لماذا لا يتحدث كاتب الرسائل عنها؟

ترددت برهة قبل أن تقول:

- ما الذى جاء فى الخطاب الموجه لك؟

- ان اختى ليست أختى..

- وهل هى أختك حقا؟

- بكل تأكيد جوانا اختى..

- لعل هذا يعطيك فكرة عما أعنيه.. استطيع أن أقول لك أن هنالك أشياء أخرى.

ركزت نظراتها على وجهى، وفهمت فجأة لماذا يخاف أهل ليمستوك مسز دين كالثروب.. توجد فى أعماق كل شخص منا أسرار دفينة لا يجب أن يعرفها غيره. وداخلنى احساس أن مسز كالثروب تعرفها.

لأول مرة فى حياتى أحسست بفرحة غامرة عندما سمعت صوت ايمى جريفيت يرتفع قائلا بحرارة:

- هالو مود.. أنا سعيدة لأننى رأيتك لأقترح عليك تعديل موعد بيع الأعمال.. صباح الخير يا مستر بيرتون. لقد طلبت طلباتى من البدال وسوف أذهب لاستلامها وأعود لألتقى بك فى المعهد.. هل يناسبك ذلك؟ وقالت مسز كالثروب.

- نعم.. نعم.. هذا يناسبنى تماما..

انصرفت ايمى جريفيث وقالت مسز دين كالثروب:

- الشئ البائس..

شـعـرت بالحـيـرة، فـلا يمكن أن تكون قـد قـصـدت ايمى بـذلك، واستطردت تقول:

- أنت تعرف يا مستر بيرتون.. اننى خائفة..

- من تلك الخطابات المجهولة؟

- نعم.. أنه الحقد الأعمى.. ما الذى يمكن أن يحدث بعد هذا يا مستر بيرتون؟

كان علينا أن نعرف الرد على ذلك السؤال بعد مرور يوم آخر..

كانت باتريدج هى التى حملت الينا أنباء المأساة، دخلت غرفة جوانا فى الصباح قبل أن تفيق من نومها تماما قائلة:

- شئ فظيع! لم أصدق عندما سمعت الأنباء! وسألتها جوانا وهى تتثاءب:

- ما هو ذلك الشئ الفظيع؟

- المسز سيمنجتون المسكينة.. ماتت!

قفزت جوانا من سريرها قائلة بانفعال: ماتت؟

- نعم.. بعد ظهر الأمس، وأسوأ ما فى الأمر أنها انتحرت.

أكملت باتريدج قصتها قائلة أن مسز سيمنجتون التعسة اندفعت الى ذلك مضطرة عندما تلقت واحدا من تلك الخطابات الكريهة، لا أنها لم تعرف مضمون الرسالة، وجاءت جوانا الى تقص على النبأ..

تذكرت ما قاله أوين جريفيث. وتحقق ما كان يخشاه الطبيب. وكانت الضحية هى المسز سيمنجتون التعسة. سألتنى جوانا عما يشغل

تفكيرى، وأخبرتها بما قاله أوين، وقالت جوانا:

- لا شك أنه يعرف كل التفاصيل.. ذلك الرجل يظن أنه يعرف كل شئ.

- أنه ذكى.

- بل هو مغرور.. شديد الغرور.

قالت جوانا بعد برهة:

- يا له من شئ أليم بالنسبة للزوج.. وقع الحادث فى رأيك على ميجان؟

قلت: ليست لدى أى فكرة.. فالانسان لا يمكن أن يخمن كيف تفكر ميجان أو تشعر..

وقالت جوانا بعد قليل:

- هل تعتقد أنها تحب البقاء معنا لمدة يوم أو يومين؟ لا شك أنها صدمة شديدة بالنسبة لفتاة فى سنها..

- نستطيع أن نذهب اليها ونعرض عليها الأمر.

- لا شك أن الأولاد بخير لأن المربية معهم. ولكن هذه المربية يمكن أن تدفع ميجان الى الجنون.

فكرت فى أن هذا أمر محتمل خاصة بالنسبة لفتاة حساسة مثل ميجان.. خطرت ببالى فكرة احضار ميجان لتعيش معنا بعض الوقت، وأسعدنى أن تكون المبادرة من جانب جوانا..

ذهبنا سويا بعد الافطار الى بيت سيمنجتون ونحن نشعر بالحرج

فى مثل هذه الظروف، ولحسن حظنا التقينا بالدكتور أوين جريفيث على باب البيت، وحيانا بحرارة قائلا:

– هالو بيرتون.. أنا سعيد لرؤيتك.. ما كنت أخشى وقوعه ان عاجلا أو آجلا قد حدث..

وقالت جوانا: صباح الخير يا دكتور جريفيث..

احمر وجه الطبيب وقال لها:

– أوه.. صباح الخير يا مس بيرتون.

قالت جوانا: ظننت أنك لم ترن.

ازداد احمرار وجه الطبيب وقال:

– أ.. أنا آسف.. كنت مشغول البال.

تدخلت فى الحديث قائلا:

– جئنا أنا وأختى بغرض اصطحاب ميجان معنا لتقضى معنا يوما أو يومين.. ما رأيك؟ وكيف يكون شعور سيمنجتون ازاء هذا الغرض؟

التزم الطبيب الصمت برهة مفكرا، ثم قال:

– أعتقد أنها فكرة ممتازة.. تلك الفتاة غريبة الأطوار وربما كان من المفيد ابعادها عن البيت فى الظروف الراهنة.. فرغم أن المس هولاند تقوم برعاية الولدين والأب. الا أن سيمنجتون فى حالة يرثى لها.

قلت له بتردد: كان انتحارا؟

أومأ جريفيث برأسه قائلا:

- أوه.. نعم.. لا شك فى ذلك.. فقد تركت رسالة تقول فيها.. لا أستطيع الاستمرار.. ويبدو أن الخطاب وصلها فى بريد الامس.. وقد عثرنا على الخطاب مكورا وملقى فى المدفأة.

وعندما سألته عن مضمون الخطاب قال:

- سوف تتم قراءة الخطاب فى التحقيق.. لا مفر من ذلك.. كانت الرسالة من نفس النوع البذئ.. وكان الاتهام الرئيسى الوارد فيها أن كولين الابن الثانى ليس من نسل سيمنجتون.

وقلت له بدهشة: هل تعتقد أن هذا الاتهام صحيح؟

- لا أستطيع أن أصدر حكما بذلك.. لقد جئت الى هذا المكان منذ خمس سنوات، والذى أستطيع أن أؤكده أن الزوجين كانا سعيدين بولديهما.. صحيح أن الابن الثانى لا يشبه أبويه، فهو أحمر الشعر، ولكن هذه صفة وراثية قد تكون موروثة عن الجد أو الجدة.

وقالت جوانا بارتياب:

- هل كانت مسز سيمنجتون تقتل نفسها لو أن الاتهام لم يكن صحيحا؟

قال دكتور جريفيث:

- لست متأكدا من ذلك.. كانت تعانى من اعتلال صحتها منذ بعض الوقت، وكنت أعالجها من مرض عصبى.. من المحتمل أنها صدمت عندما تلقت تلك الرسالة، ولم تتحمل أعصابها الصدمة

فأقدمت على الانتحار ربما فكرت فى أن زوجها لن يصدقها وفقدت اتزان عقلها.. قالت جوانا: تعنى أن الانتحار كان فى لحظة خلل للتوازن العقلى؟

– تماما.. وهذا ما سوف أقوله فى التحقيق.

تحرك الطبيب ببطء نحو الشارع، ووجدنا الباب الأمامى مفتوحا لحسن الحظ، وسمعنا صوت المس ايلزى هولاند من الداخل وهى تقول:

– كلا يا مستر سيمنجتون.. أنت لم تتناول طعاما منذ العشاء. يجب أن تأكل شيئا حتى تسترد قوتك.. لقد قال الطبيب ذلك قبل انصرافه..

وسمعنا صوت سيمنجتون يرد عليها قائلا بضعف:

– أنت عطوفة للغاية يا مس هولاند ولكن...

– ما رأيك فى فنجان شاى ساخن؟

قبل المستر سيمنجتون وقال للمربية:

– لا أستطيع أن أوفيك حقك من الشكر على كل ما تفعلينه يا مس هولاند. لقد كنت رائعة..

احمر وجه الفتاة بسرور قائلة:

– لطف منك أن تقول هذا يا مستر سيمنجتون. يجب أن تسمح لى بتقديم كل ما أستطيع من المساعدة. لا تقلق على الأطفال. وقد هدأت من روع الخدم، وأنا على استعداد لتقديم أى مساعدة ممكنة..

كتابة الرسائل أو اجراء الاتصالات التليفونية..

كرر مستر سيمنجتون قوله: أنت عطوف للغاية.. بينما كانت ايلزى هولاند تستدير لمحتنا واتجهت نحونا فى الصالة مسرعة، وقالت بصوت هامس:

- أليس أمرا فظيعا؟

فكرت وأنا أنظر اليها أنها فتاة لطيفة حقا، ومفيدة وقت الأزمات، وكانت عيناها محمرتين من أثر البكاء حزنا على مخدومتها، وسألتها جوانا عما اذا كنا نستطيع التحدث معها دون أن تزعج المستر سيمنجتون، وقادتنا ايلزى هولاند الى غرفة المائدة، ثم قالت:

- كانت صدمة اليمة له.. من كان يتصور أن شيئا كهذا يمكن أن يحدث؟ ولكننى أعرف أن أحوالها كانت غريبة فى الفترة الأخيرة.. كانت عصبية كثيرة البكاء. وكنت أتخيل ان سبب ذلك اعتلال صحتها رغم أن الدكتور جريفيث كان يؤكد دائما أنها بخير. وكانت تبدو فى بعض الأيام شديدة العصبية بحيث يصعب التعامل معها.

أخبرتها جوانا عن سبب زيارتنا، وقالت ايلزى:

- ميجان؟ لا أدرى.. هذا لطف زائد من جانبكم.. ولكن هذه الفتاة غريبة الأطوار.

قالت جوانا: فى اعتقادنا ان هذا ربما ساعد الفتاة..

- أعتقد أنه يساعدها.. لدى الأطفال والمستر سيمنجتون لأرعى شئونهم، ولم يكن لدى فى الواقع من الوقت ما يسمح لى بالعناية بالفتاة. أعتقد أنها موجودة الآن فى غرفة الأطفال القديمة، يبدو أنها

تريد الهروب من الجميع..

أومأت الى جوانا برأسها، وأسرعت الى الطابق العلوى، وفتحت باب الغرفة التى تختبئ فيها ميجان ورأيتها جالسة القرفصاء على أريكة مسنودة على الحائط وذكرنى منظرها بحيوان جريح يختفى عن الأنظار، وعندما ناديتها أدارت رأسها نحوى دون أن تتحرك من مكانها، وقلت لها:

- ميجان..جئت مع جوانا لنعرض عليك البقاء معنا بعض الوقت..

قالت بصوت أجوف:

- أبقى معكم؟ فى البيت؟

- نعم..

- تعنى انكم سوف تأخذوننى من هنا؟.

- نعم يا عزيزتى..

بدأت ترتجف فجأة وهى تقول:

- أوه.. أرجوكم أن تبعدونى عن هذا المكان. أنه فظيع.. أنه مكان شرير.

اقتربت منها وقبضت على كم سترتى بعنف قائلة:

- أنا جبانة.. لم أكن أعرف اننى جبانة الى هذا الحد.

- تعالى معى.. هذه الأشياء تسبب الفزع..

- هل نستطيع أن نذهب فى الحال؟

- حسن.. أعتقد أنه يتحتم عليك أن تأخذى معك بعض الأشياء.

- أى نوع من الأشياء؟ ولماذا؟

- يا فتاتى العزيزة.. نستطيع أن نمنحك سريرا وحماما ولكننى لا أستطيع أن أعيرك فرشاة أسنانى..

ضحكت ضحكة واهية ثم قالت:

- فهمت.. أعتقد أننى غبية اليوم.. سوف أحزم بعض الأشياء.. أنت.. لن تنصرف؟ هل ستنتظرنى؟

- بكل تأكيد..

- شكرا. شكرا جزيلا. أنا آسفة لغبائى، ولكنه شئ فظيع فقدان الأم.

غادرت الحجرة وأخبرت جوانا أن ميجان قادمة..

وأعربت ايلزى هولاند عن ارتياحها ثم قالت:

- أنها فتاة صعبة.. وأرجو ألا تسبب لك بعض الازعاج يا مس بيرتون.. أوه يا الهى.. هذا جرس التليفون، يجب أن أرد عليه لأن المستر سيمنجتون فى حالة يرثى لها.

غادرت الحجرة مسرعة، وقلت لجوانا أنها ملاك وقادرة على معالجة الموقف، وقالت جوانا:

- أما أنا فلست مرتاحة لها.. لا يعجبنى الشخص الذى يظهر الاعتزاز بنفسه على هذا النحو.. كيف وجدت ميجان؟

- كانت تجلس القرفصاء على الأريكة فى الظلام مثل الحيوان الجريح.

– يا للفتاة المسكينة، هل رحبت بالذهاب معنا؟

– كل الترحيب.

سمعنا وقع أقدام ميجان مقبلة نحونا، وجاءت تحمل حقيبة صغيرة وساعدتها فى الركوب وذهبنا الى البيت. ارتمت ميجان فوق أحد المقاعد وانخرطت فى بكاء حار كالطفل الصغير، وغادرت الغرفة بحثا عن دواء لها بينما وقفت جوانا أمامها حائرة.. وسمعت صوت ميجان تقول من خلال البكاء:

– أنا آسفة لما فعلته.. كان غباء منى.

وقالت لها جوانا برقة: خذى منديلا آخر..

عدت الى الغرفة حاملا كأسا قدمته لميجان طالبا منها أن تشربه، وعندما سألتنى عن محتوياته قلت: كوكتيل!

وقالت باستغراب: أهو كوكتيل حقيقى، لم أشرب الكوكتيل فى حياتى..

انخرطت فى البكاء من جديد وقلت لها: لكل شئ بداية..

تجرعت ميجان كأسها على مهل ثم افتر ثغرها عن ابتسامة مشرقة وقالت:

– رائع.. هل أستطيع أن أشرب كأسا أخرى؟

وعندما رفضت وسألتنى عن السبب قلت:

– من المحتمل أن تعرفى الرد بعد عشرة دقائق.. حولت ميجان انتباهها نحو جوانا وقالت لها:

– آسفة لظهورى بهذا المظهر الصبيانى.. وتبدو حماقة منى أن أعبر عن بالغ سرورى لوجودى هنا.

– نحن سعداء لأنك معنا.

– لا يمكن أن يكون الأمر كذلك، أنها مجرد شفقة من جانبكم، وأنا شاكرة لكم..

لا داعى للشكر لأن ذلك سوف يربكنى. كنت أقول الحقيقة عند ' قلت لك أننا سعداء بوجودك بيننا..

وقلت لميجان أن الفرصة سوف تتاح لنا لمناقشة أدب شكسبير وغيره من الموضوعات التى تهمنا، وسألت ميجان عن شعورها بعد الكأس التى شربتها فقالت: فى أحسن حال.. شكرا لك؟

– الا تشعرين بالدوار؟ ألا ترين جوانا شخصين أو شئ من هذا القبيل؟

– كلا.. كل ما أشعر به هو اننى أريد أن أتحدث واتحدث..

– رائع.. من الواضح أنك من الأشخاص الذين خلقوا يحبون شرب الخمر بطبيعتهم.. هذا اذا كنت تقولين الحقيقة عندما ذكرت أن هذه أول كأس لك.

– أوه.. أنها الأولى..

– الرأس المتزنة القوية من مزايا الانسان..



جلسة التحقيق

عقدت جلسة التحقيق بعد ثلاثة أيام، وقيل أن الوفاة حدثت بين الساعة الثالثة والرابعة، وكانت مسز سيمنجتون وحدها فى البيت، حيث كان يوم راحة الخدم.

وكان زوجها فى مكتبه، بينما خرجت ايلزى هولاند مع الأولاد، وخرجت ميجان فى نزهة على دراجتها. ولابد أن يكون الخطاب وصلها فى بريد بعد الظهر وعندما قرأت الخطاب اضطربت وذهبت الى حظيرة الدجاج حيث يوجد بعض السيانيد المخصص للقضاء على أعشاش الزنابير، وأذابت بعض السيانيد فى الماء وشربته بعد أن كتبت بكلمات مضطربة: لا أستطيع الاستمرار..

قرر الدكتور جريفيث أن المسز سيمنجتون انتحرت فى لحظة اضطراب عقلى مفاجئ. وأدان وكيل النيابة العمل الذى يرتكبه كاتب الخطابات المجهولة ووجه الى مرتكبه جريمة القتل، وأعرب عن أمله فى أن يهتدى رجال الشرطة الى الفاعل لتقديمه للمحاكمة. وقرر المحلفون أن المسز سيمنجتون انتحرت فى لحظة جنون مؤقت، وخرج

الحاضرون وهم يتهامسون قائلين:.. لا دخان بغير نار.. لا يمكن أن تنتحر بغير سبب.. وأحسست فى تلك اللحظة بكراهية شديدة للقرية ونساءها الثرثارات.

جاءت ايمى جريفيث لزيارتنا وكانت جوانا قد خرجت مع ميجان، وقالت ايمى انها سمعت أن ميجان فى ضيافتنا، وأخبرتنى ان تلك الفتاة غير مكتملة العقل، وانها سوف تسبب لنا الكثير من المتاعب، وأكدت لها أن الفتاة عاقلة وتتمتع بقدر كبير من الذكاء، ثم تطرق الحديث الى مسز سيمنجتون الراحلة والقرار الذى اتخذ فى التحقيق.

وقالت ايمى:

– لا يوجد دخان بغير نار..

وقلت لها باصرار:

– لقد سمعت ما قاله المستر سيمنجتون فى التحقيق.

– جميع الرجال يتخذون هذا الموقف مراعاة لسمعتهم..

وأضافت ايمى أنها تعرف سيمنجتون جيدا، وأنها عرفته لسنوات طويلة فى الشمال، وأنه رجل غيور، ثم تطرق الحديث الى ميجان مرة أخرى، وقالت ايمى ان الفتاة كسولة والذى ينقصها هو العمل بدلا من تمضية كل وقتها فى النزهة بالدراجة، وعندما رأتنى أدافع عن ميجان، اتهمتنى بالغيرة من النساء العاملات، ولمست من لهجة حديثها أنها تكره أختى أيضا، وقالت أخيرا:

– أننا لنتساءل فى دهشة: ما الذى دفعكم الى اختيار هذا المكان؟

وأجبتها قائلا: أوامر الأطباء.. طلبوا منى الذهاب الى مكان بعيد هادئ لا تقع فيه أحداث مكدرة.. ولكن يبدو أن تلك الصفات لم تعد تتوافر فى هذا المكان.. التقيت بسيمنجتون فى وقت لاحق وسألته عما اذا كان راضيا عن بقاء ميجان معنا لبعض الوقت، وقال بشرود:

- ميجان؟ آه.. كانت لفتة طيبة منكم..

أحسست منذ تلك اللحظة بكراهية للرجل لم أستطع التغلب عليها فيما بعد، لأنه نسى كل شئ عن ميجان، يكره بعض الرجال بنات زوجاتهم من أزواج سابقين، ولكنه كان لا يشعر بوجود ميجان قط، وسألته:

- ما هى خطتك بالنسبة للفتاة؟

أفزعه سؤالى وقال:

- ميجان؟ حسن.. سوف تستمر حياتها فى البيت.. أعنى.. أنه بيتها.

جاءت اميلى بارتون بعد الظهر وكانت تريد أن تتحدث معنا حول الحديقة، واستمر الحديث نصف ساعة ثم قالت بصوت منخفض:

- أرجو ألا يكون ما حدث قد أثر على أعصاب الفتاة.

- هل تعنين بشأن موت أمها؟

- بل أعنى الأسباب التى أدت اليها..

- ما رأيك أنت؟ هل تصدقين ما جاء بالخطاب؟

وقالت مس بارتون بارتباك:

- أوه.. لا أصدق بالمرة رغم أن ذلك قد يكون ارادة السماء...

وعندما سألتها عما تقصد بذلك قالت انه عقاب ينزله الله على الناس، ثم قالت:

- يقولون أن مسز كيليت هى كاتبة تلك الخطابات.. ولكننى لا أصدق ذلك..

سكتت قليلا ثم استرسلت تقول:

- لم يحدث شئ، كهذا فى بلدنا من قبل..

وسألتها عما اذا كانت قد تلقت واحدا من تلك الخطابات الكريهة وقالت باضطراب:

- أوه.. كلا.. كان الأمر يكون فظيعا.

اعتذرت لها وانصرفت مضطربة، ودخلت الى البيت لأجد جوانا أمام المدفأة وفى يدها خطاب قالت أن أحدهم أسقطه فى صندوق البريد، وسألتها عما جاء فى الخطاب وقالت: نفس النغمة البذيئة..

ألقت الخطاب فى النار ولكننى مددت يدى بسرعة والتقطه قبل أن تلتهمه النار، قائلا لجوانا اننا فى حاجة اليه لنقدمه للشرطة.

جاء المفتش ناش ليقابلنى صباح اليوم التالى، وشعرت بالميل نحوه منذ النظرة الأولى، وقال:

- صباح الخير يا مستر بيرتون.. اعتقد أنك تعرف سبب زيارتى لك.

- أظن أن الهدف هو تلك الخطابات المجهولة.

أومأ برأسه قائلا:

- علمت أنك تلقيت واحدا منها.

- نعم.. بعد وصولنا الى المكان بزمن وجيز.

ذكرت له مضمون الخطاب بالعبارات التى أذكرها. وقال بعد أن استمع الى دون انفعال:

- هل احتفظت بذلك الخطاب يا مستر بيرتون؟

- كلا للأسف.. ظننت وقتها انه مجرد حقد طارئ باعتبارنا غرباء عن المكان.

هز المفتش رأسه قائلا: هذا أمر يدعو للأسف.

- على أية حال.. تلقت أختى خطابا آخر بالأمس.

- شكرا لك يا مستر بيرتون. كانت حكمة منك أن تحتفظ بالخطاب.

قدمت له الخطاب وقرأه بإمعان ثم سألنى:

- هل يشابه من حيث الشكل الخطاب الأول؟

- أعتقد هذا على قدر ما أذكر.

وضع المفتش الخطاب فى جيبه ثم قال:

- أكون شاكرا لو صحبتنى الى مركز الشرطة حيث نستطيع أن نعقد مؤتمرا لنتباحث فى الموقف توفيرا للوقت.

أعربت له عن ترحيبى بالتعاون مع الشرطة. وركبت معه سيارة الشرطة التى كانت تنتظر بالخارج وأنا اسأله:

– هل تعتقد أننا سوف نتمكن من حل هذا اللغز؟

أومأ المفتش برأسه فى ثقة قائلا أنها مسألة وقت لا أكثر، وسألته:

– تعنى مراقبة صناديق البريد وفحص الآلات الكاتبة الموجودة فى المدينة وبصمات الأصابع؟

ابتسم قائلا: نعم..

رأيت فى قسم الشرطة سيمنجتون وجريفيث، وقدمونى الى رجل عريض الفكين يرتدى الملابس المدنية وعرفت أنه المفتش جريفيز، وقال ناش:

– جاء المفتش جريفيز من لندن لمساعدتنا.. وهو خبير فى شئون الخطابات المجهولة.

ابتسم المفتش جريفز وهو يقول بصوت خشن:

– جميع حالات الخطابات المجهولة متشابهة.. الأسلوب والعبارات..

وقال المفتش ناش:

– حققنا فى قضية مماثلة منذ عامين وعاوننا المفتش جريفز فى اماطة اللثام عنها.

رأيت مجموعة من الخطابات معروضة على المكتب أمام جريفز، وقال ناش:

– الصعوبة فى الحصول على الخطابات لأن الناس أما أن يرموها فى النار أو ينكروا تسلمهم لها.. وهذا غباء كما ترى.. لأنهم يخافون

من التعامل مع الشرطة..

وقال جريفز: على أى حال لدينا قدر معقول نستطيع أن نبدأ به..

أخرج الخطاب الذى تسلمه منى ووضع أمام جريفز، وفحصه جريفز بامعان ثم قال:

- عظيم.. عظيم جدا.. أمامنا القدر الكافى الذى نبدأ به.. وأرجوكم أيها السادة أن تخطرونى فى حالة العثور على الجديد من هذه الخطابات، أو اذا سمعتم أن أحدهم وصله شئ منها.. وهذا الحديث موجه اليك يا دكتور جريفيث بصفة خاصة.. حاول أن تعرف من مرضاك..

استعرض جريفز الخطابات الموضوعة أمامه، قائلا أن واحدا منها وصل سيمنجتون منذ شهرين، وواحد لجريفيث، وآخر للمس جينش، وآخر لمسز مادج زوجة الجزار، وخطاب لجينفر كلارك عاملة البار، والخطاب الذى وصل مسز سيمنجتون، ثم الخطاب الأخير الذى تلقته المس بيرتون.. بالاضافة الى خطاب لمدير البنك.. وقلت بدهشة: أنها مجموعة ضخمة..

وأكد جريفز أن الخطابات متشابهة للحالات التى مرت عليه من قبل. وأنه لا شئ جديد فى الأسلوب.

وسأل سيمنجتون:

- هل استطعت التوصل الى شئ محدد بالنسبة لكاتب هذه الرسائل؟

قال جريفز: كلمات كل الخطاب مقطوعة فى كتاب مقطوع.. وهو

كتاب قديم طبع حوالى عام ١٨٣٠, وقد لجأ الكاتب الى ذلك تجنبا لاحتمال التعرف على خط يده.. ولا توجد بصمات أصابع على الورق الذى كتبت عليه الخطابات مما يؤكد أن كاتبها كان يرتدى قفازا عند وضع الخطابات فى صندوق البريد.. والعناوين المكتوبة على المظاريف منسوخة على آلة طابعة من طراز، وندسور ٧,. آلة طابعة قديمة حروف الألف والتاء فيها غير مستوية مع الصف، ومعظم الرسائل أرسلت محليا أو وضعت باليد فى صناديق بريد الأشخاص الذين تسلموها.. مما يؤكد أنها مرسلة محليا.. وفى اعتقادى أن الذى كتبها سيدة فى منتصف العمر، ومن المرجح وأن كان هذا ليس مؤكدا أنها غير متزوجة..

نظرنا لمدة دقيقة أو دقيقتين الى المفتش جريفز باحترام، ثم قلت له:

- أعتقد أن الآلة الكاتبة هى التى سترشدك الى الكاتب خاصة فى مكان صغير كهذا.

هز المفتش جريفز رأسه قائلا:

- أنت مخطئ فى هذا يا سيدى.

تدخل المفتش ناش فى الحديث قائلا:

- لسوء الحظ هذه الآلة أهداها المستر سيمنجتون لمعهد النساء.. وأى سيدة تذهب الى المعهد يسهل عليها استخدام الآلة الكاتبة.

- ألا تستطيع التوصل الى شئ من طريقة لمس الحروف؟

أومأ جريفز برأسه قائلا:

– نعم.. غيـر أن جـمـيـع العناوين المكتـوبة على المظاريف مكتـوبة بأصبع واحد..

– معنى هذا أن كاتب الرسائل غير متمرس على الكتابة على الآلة الكاتبة؟

– كـلا.. لا أسـتطيـع أن أجـزم بذلك... ربما كـان شـخـصـا يجـيـد الكتـابة عليهـا ولكنه لا يريد أن يعـرف أحد ذلك. وقلت ببطء: أيا كـان الكاتب فهو شخص ماكر..

وقال جريفز مؤكدا:

– هى كذلك.. ماكرة جدا..

وقلت: لا أظن أن واحـدة من أولئك النسـوة الريفـيـات تمتلك مـثل هذه العقلية الماكرة.

سعل جريفز ثم قال:

– أخشى أن أقول أن الكاتبة سيدة متعلمة.

وقال سيمنجتون بانفعال:

– هذا يحصر الاتهام بين عدد ينحصر بين ستة وحوالى العشرة!

وقال المفتش بهدوء: هذا صحيح..

عاد سيمنجتون يقول بانفعال:

– لقد سمعتم ما قلته فى التحقيق.. وأود أن أؤكد مرة أخرى أن مـا جـاء فى الخـطاب المرسل الى زوجـتى غيـر صـحـيح بالمرة.. كـانت زوجتى شديدة الحسـاسية.. تستطيع أن تقولوا أنها كانت غبية الى حد

مـا.. لا شك أن الخطاب سبب لها صدمة شديدة مع ما تعانيه من اعتلال صحتها..

أجابه جريفز على الفور قائلا:

- لا يعرض أى واحد من هذه الخطابات أى معلومات دقيقة.. مجرد اتهامات عمياء.. ولا توجد شبهة ابتزاز المال، كما لا يوجد دافع دينى.. أنه مجرد حقد واتهامات جنسية، وهذا سوف يضيق الدائرة حول الفاعل.

وقف سيمنجتون وقال وهو يرتجف:

- أرجو أن تقبضوا بسرعة على ذلك الشيطان.. تلك المرأة قتلت زوجتى.. ترى كيف تشعر الآن؟

سارع ناش الى الاجابة بقوله:

- سوف تحاول مرة أخرى..

وقلت بدهشة: تكون مجنونة لو انها واصلت هذا العمل..

قال جريفز بلهجة تأكيد:

- سوف تستمر. هم يفعلون ذلك دائما.. أنه داء لا يستطيعون التخلص منه.

سألت عما اذا كانوا ما يزالون فى حاجة الى. وأخبرنى ناش أنهم ليسوا فى حاجة الى الآن، وطلبوا منى فتح عينى وحث الناس على الاتصال بالشرطة لعرض ما يصلهم من خطابات أو الادلاء بأى معلومات تفيد الشرطة. وعندما قلت أن المجتمع المحلى لا يثق بـ..

خرجت مع جريفيث بعد الظهر وقلت له:

- يا له من مكان يلجأ اليه الانسان ليقضى فيه فترة النقاهة..

مشينا فى الشارع الرئيسى، وتوقفت أمام مكتب السمسار قائلا لجريفيث اننى أفكر فى التخلى عن بقية المدة وترك المكان، وقال أوين جريفيث برجاء:

- لا ترحل..

وعندما سألته عن السبب قال:

- ربما كنت على حق.. قد تتعرض أختك للخطر..

وقلت له: جوانا قادرة على حماية نفسها.. أنا الشخص الضعيف وهذا الأمر يثير أعصابى.. ولكننى لن أرحل.. يدفعنى الفضول الى البقاء لمعرفة النهاية.

دخلت المكتب واستقبلتنى سيدة مجعدة الشعر كانت مشغولة بالكتابة على الآلة الكاتبة، عرفت انها المس جينش. الكاتبة التى كانت تعمل بمكتب سيمنجتون، وقلت لها:

- كنت تعملين بمكتب المستر سيمنجتون، أليس كذلك؟

قالت بهدوء:

- نعم.. ولكننى رأيت من الأفضل لى تركه. رغم أن مرتب هذا العمل أقل، الا أن المال ليس كل شئ.. أليس كذلك؟

وافقتها على رأيها، وعادت تقول:

- السبب تلك الخطابات الممقوتة.. وصلنى واحد منها يشير الى

وجود علاقة بينى وبين المستر سيمنجتون.. كلمات بذيئة فظيعة!
عرفت أن واجبى يقتضى تسليم الخطاب للشرطة رغم ما يسببه ذلك من حرج لى.

ابتسمت ابتسامة اعتزاز. وهكذا التقيت اليوم بشخص مسرور لتسلمه واحدا من تلك الخطابات المجهولة، وخطر ببالى سؤال: هل كتبت مس جينش هذه الخطابات؟



المجنونة

عند عـودتى الى المنزل وجـدت المسـز دين كـالثـروب جـالسـة تتـحـدث مع جوانا، وأعـربت مسـز كالثـروب عن أسفها العميق من أجل تلك المخلوقة البائسة.

وعندما سألتها عما اذا كانت تعنى المسز سيمنجتون، قالت بلى على العكس، انها تعنى كتابة الخطابات المجهولة، لأن مسز سيمنجتون كانت أنانية متعلقة بالحياة، وأنها تعجبت كيف وضعت خاتمة لحياتها على ذلك النحو، وعندما أعربت لها عن دهشتى لما تقوله، قالت:

– أننى أشفق على تلك البائسة التى تشعر بالتعاسة، وتبقى وحدها تفرغ المها على الورق وتحاول أن تنشر احساسها بالتعاسة بين الآخرين.. نعم.. أنها مخلوقة بائسة حقا..

وقفت لتتصرف، وأنا أختلف معها فى التعاطف مع كاتبة الرسائل المجهولة، وسألتها بفضول:

– هل لديك فكرة عن كاتبة هذه الرسائل؟

رمقتنى بنظرة ثاقبة وهى تقول:

- حسن.. أستطيع أن أخمن ولكننى قد أكون مخطئة.. وقالت قبل أن تغادر الحجرة.

- لماذا لم تتزوج الى الآن يا مستر بيرتون؟

- لأننى لم أصادف الزوجة المناسبة..

- ولكن هذه الاجابة ليست مقنعة، لأن عددا كبيرا من الرجال يتزوجون المرأة غير المناسبة..

قالت ذلك وانصرفت على الفور، وقالت جوانا:

- أننى أفكر فى بعض الأحيان أنها مجنونة، ولكننى أحبها رغم أن الناس فى القرية يخشونها.

وقالت جوانا: هل تعتقد حقا أن كاتب تلك الرسائل المجهولة يعانى قدرا كبيرا من التعاسة؟

- اننى لا أهتم بكاتب الرسائل وانما أشعر بالأسى على الضحايا.

وبدا لى الأمر عجيبا ونحن نختلف فى تصوراتنا بالنسبة لكاتب الرسائل، فقد كان من رأى جريفيث أنها شخصية تبتهج بنتائج عملها، وتصورتها نادمة على فعلتها، بينما تراها المسز كالثروب شخصية تتعذب.. ولكننا جميعا لم تفكر فى رد الفعل لذلك العمل أو الشكل القانونى له.. لا شك أن سيمنجتون يعرف، ولكن الشئ الواضح الآن أن المسألة لم تعد مزحة، لقد تحرك رجال الشرطة وجاء مندوب من اسكتلانديارد للكشف عن سر تلك الخطابات المجهولة، ومع التسليم

بأن الخوف كان رد الفعل الطبيعى لتلك الخطابات، فقد ظهرت فى الأفق أشياء أخرى، ورغم وضوح بعض الاحتمالات الا أننى لم أتنبه اليها..

عندما نزلنا أنا وجوانا لتناول الافطار صباح اليوم التالى، ساءنى أن أرى ايمى جريفيث واقفة أمام عتبة الباب تتحدث مع ميجان، وقالت لنا:

- هالو أيها الكسالى!

انسحبت ميجان، وقالت ايمى جريفيث:

- جئت أسأل المس بيرتون عما اذا كان لديكم فى الحديقة أى فائض من الخضروات للصليب الأحمر.. واذا كان لديكم فائض يمكن أن أبعث أوين ليحمله فى سيارته.

وقلت لها: أنت مبكرة للغاية يا مس جريفيث وقالت بزهو:

- الطائر المبكر يفوز بالطعام.. سوف أمر بعد ذلك على المستر باى، وسوف أشغل بعد الظهر بالمرشدات..

- تدهشنى طاقتك الكبيرة..

أسرعت لارد على التليفون تاركا جوانا معها.

ورفعت السماعة. وقال الصوت من الطرف الآخر: هل هذا منزل ليتل فيرز؟ وعندما أجبت بالايجاب قال الصوت بارتباك:

- هل أستطيع أن أتحدث مع المس باتريدج؟

- بالتأكيد.. من المتحدث؟

- أوه.. أخبرها اننى اجنيس.. أجنيس واديل ظهرت لباتريدج على رأس السلم ممسكة بالمكنسة، وقلت لها أن أجنيس واديل على التليفون، وقالت بارتياب:

- عفوا.. من الذى يطلبنى يا سيدى؟

قلت بصوت مرتفع: أجنيس واديل.

وقالت باتريدج مصححة الاسم: أجنيس وديل.. ما الذى تريده منى الآن؟

تركت باتريدج المكنسة وهبطت السلم فى اضطراب، وذهبت الى غرفة المائدة حيث كانت ميجان تتناول بعض الطعام، ودخلت جوانا بعد قليل وأنا اقرأ صحيفة الصباح قائلة أنها متعبة للغاية وسألتنى عما اذا كان الفول يزرع فى هذا الوقت من السنة، وأخبرتها أن موعد زراعته فى أغسطس، ثم قالت:

- يدهشنى فى ايمى جريفيث تلك الطاقة الضخمة واستمتاعها بالحياة.. ألا تعتقد أنها تشعر بعض الأحيان بالتعب أو الملل؟ أخبرتها أن ايمى لا تشعر قط بالتعب أو الملل، ثم تبعت ميجان الى الشرفة ووقفت أملأ غليونى، عندما سمعت صوت باتريدج من خلفى يقول:

- هل أستطيع أن أتحدث معك قليلا يا سيدى؟

وهمست لنفسى مرتاعا: أرجو ألا تكون الخادمة قد قررت ترك العمل لأن ذلك سوف يثير ثائرة اميلى بارتون علينا.

وقالت باتريدج:

– جئت اعتذر لأنهم طلبونى تليفونيا.. لم يسبق أن طلبنى أحد وأنا لا أسمح لأصدقائى بذلك..

وقالت لها جوانا مهدئة روعها:

– لا ضير فى أن يطلبك أصدقاؤك يا باتريدج..

لاحظت أن وجه الخادمة محمر وقالت ببرود:

– ليس هذا من تقاليد البيت.. لم تكن المس اميلى تسمح بشئ كهذا وأنا آسفة لحدوثه.. ولكن أجنيس كانت فى أشد حالات الانزعاج فضلا عن أنها شابة غريرة..

التقطت باتريدج أنفاسها وأردفت تقول:

– أجنيس التى طلبتنى كانت تعمل هنا كمساعدة لى.. كانت وقتها فى السادسة عشرة من عمرها وجاءت من أحد الملاجئ، وهكذا ترون أنه لا أقارب لها أو بيت، وقد اعتادت اللجوء الى طالبة النصح.. لهذا أسألك يا مس ما اذا كنت تسمحين لأجنيس بالمجئ هنا لتناول الشاى معى بعد الظهر.

وقالت لها جوانا بدهشة: ما الضرر فى أن تستقبلى صديقة لتناول الشاى معك؟

– لم يكن هذا من تقاليد البيت.. وكانت المسز بارتون العجوز لا تسمح بذلك فى غير أيام راحتنا حتى نبقى فى البيت.. وقد استمرت المس اميلى فى المحافظة على هذه التقاليد.

وبعد انصراف باتريدج، وعاتبت جوانا لتعاطفها ولينها مع الخدم،

وقالت جوانا محتدة:

- لم أسمع من قبلى عن مثل هذا الطغيان.. ما ينبغى أن تعامل الخدم كالعبيد الزنوج..

وخرجت جوانا ثائرة لأن ايمى وصفتها ذلك الصباح بالجهل بالملكة النباتية، ثم ضفت الى ذلك وصفها بالتساهل مع الخدم..

اقتربت ميجان منا قائلة:

- أعتقد أنه ينبغى لى أن أعود الى بيتى اليوم..

وقلت لها باستياء: ماذا تقولين؟

- لقد كان منتهى الكرم أن تتحملونى.. كنت عبئا ثقيلا، رغم أننى استمتعت بفترة اقامتى معكم، ولكن ينبغى أن أرجع الى البيت.. أنه بيتى ولا يستطيع الانسان أن يعيش بعيدا عنه الى الأبد.

حاولنا أن نثنيها عن عزمها ولكنها أصرت، ونزلت بعد قليل حاملة حقيبتها، وكانت باتريدج الشخص الوحيد الذى أسعده رحيل الفتاة، فلم تكن تشعر بأدنى ميل نحو ميجان.

يجب أن أعترف اننى شعرت بالاستياء للطريقة التى تركتنا بها ميجان. ربما لم تكن الحياة معنا مسلية بالنسبة لشابة فى مثل سنها. ولديها فى البيت ايلزى والأولاد.. جاء أوين جريفيث بسيارته بعد الغذاء. فى انتظار ما تقدمه من فائض الخضراوات. وطلبت منها الدخول، وعندما جئته بكأس من الشيرى كانت جوانا قد بدأت لعبتها معه..

لم ألحظ بوادر خصومة بينهما، على العكس كانت جوانا تسأله عن طبيعة عمله كممارس عام ولماذا لم يتخصص؟

وكانت تقول له أن مهنة الطب من أكثر الاشياء الممتعة فى الحياة، وكانت تصغى الى اجاباته باهتمام، ولكن أوين بعد أن شرب الكأس الثالثة بدأ يتحدث باسهاب عن بعض التفاصيل مستخدما عبارات طبية غير مفهومة لنا، ولا تزال جوانا تستمع اليه باهتمام.. وشعرت ببعض القلق وأنا أتابع اللعبة التى تلعبها جوانا مع الطبيب.. حقا أن النساء قرينات الشيطان!

قالت له جوانا أخيرا:

- أرجو أن تغير رأيك وتتناول الغذاء معنا..

احمر وجه اوين وقال ابن أخته ينتظره ولولا ذلك لاستجاب لدعوتنا..

بادرته جوانا قائلة:

- نستطيع أن نتصل به تليفونيا ونشرح له الأمر..

بدا القلق على وجه الطبيب، وخطر بذهنى أنه يخشى أخته.. عادت جوانا باسمة بعد أن نجحت فى اقناع الطبيب بالبقاء، واستمتعنا بعد الغذاء بالحديث فى شتى الموضوعات، الموسيقى والرسم والعمارة الحديثة.. ولم نتحدث عن ليمستوك بالمرة أو الخطابات المجهولة وسر انتحار المسز سيمنجتون.. تجنبنا الحديث فى المشاكل، وكان أوين جريفيث سعيدا، وأشرق وجهه، وبعد انصرافه قلت لجوانا:

- هذا الفتى لا يستطيع أن يصمد لألاعيبك..

قالت جوانا بهدوء:

- هذا ما تقوله أنت..

كان علينا أن نجيب دعوة المس اميلى بارتون لتناول الشاى معها فى غرفتها بعد الظهر، وذهبنا اليها سيرا على الأقدام. لأننى شعرت باستعادة بعض قوتى... ويبدو أننا وصلنا مبكرين عن موعدنا، لأننا اكتشفنا أن المس بارتون بالخارج.

وقالت السيدة التى استقبلتنا:

- تفضلوا بالدخول فهى تنتظر وصولكم..

كان من الواضح أنها فلورنس المخلصة لمخدومتها السابقة. قادتنا الى غرفة جلوس صغيرة مريحة مكتظة بقطع الأثاث التى يبدو انها نقلت من ليتل فيرز، وقالت فلورنس باعتزاز:

- أليست غرفة مريحة؟

قالت جوانا بحرارة: أنها لطيفة حقا.

- اننى أوفر لها أكبر قدر من الراحة.. ولكن كان ينبغى لها أن تكون منعمة فى بيتها..

سكتت فلورنس قليلا ثم استرسلت تقول:

- عملت وصيفة لها لمدة خمسة عشر عاما.. ولكن لظروف المالية العصيبة اضطرتها لعرض بيتها للايجار.. المس بارتون تحتاج الى الرعاية ولن أتوانى عن توفير كل الرعاية اللازمة لها..

غادرت الغرفة وأغلقت الباب وراءها، وقالت جوانا:

- يبدو أننا نمر ببرج النحس يا جيرى.. ميجان سئمت الحياة معنا، وباتريدج غير راضية عنا، وهذه فلورنس بدورها لا تشعر نحونا بالارتياح.

وسألت جوانا بعد برهة:

- لماذا تركتنا ميجان؟

- لعلها ملت أسلوب حياتنا.

- لا أظن ذلك.. ربما يكون ذلك بسبب شئ قالته لها ايمى جريفيث.

- تعنى هذا الصباح؟

- نعم.. لم تبقيا معا طويلا ولكن..

قطع حديثنا فتح الباب ودخول المس اميلى بارتون. كان وجهها محمرا وهى مبهورة الأنفاس يبدو عليها القلق، وعيناها تشعان بالبريق وقالت:

- يا الهى.. أعتذر لتأخرى ولكننى كنت أشترى بعض الأشياء من المدينة..

قالت جوانا مخففة عنها:

- الخطأ خطأنا لأننا وصلنا مبكرين..

ربتت العجوز على كتف جوانا برقة، ثم نظرت الى باسمة وهى تقول:

- طيب من جانبكما أن تلبيا دعوة سيدة عجوز.

فتح الباب بعد قليل ودخلت فلورنس حاملة صينية الشاى وبعض الكعك، وكان وجهها مشرقا هذه المرة..

أكلت أنا وجوانا أكثر من حاجتنا بناء على الحاح مضيفتنا، وكانت المس بارتون بالغة السعادة وهى تستقبل ضيوفا من الشبان قادمين من لندن.. وسرعان ما تحول حديثنا الى الشئون المحلية، وتحدثت المس بارتون عن الدكتور جريفيث بحرارة. وهى تذكر رقته وبراعته كطبيب.. وكان من رأيها أن المستر سيمنجتون محام قدير يساعدها فى تخفيض بعض الضرائب المطلوبة منها، وأنه لطيف للغاية مع أولاده، وكان مخلصا لزوجته.. ثم قالت:

– مسكينة مسز سيمنجتون.. أنها مأساة مفجعة ذهاب الأم تاركة أطفالها الصغار يتامى.. حقا كانت صحتها معتلة فى الأيام الأخيرة ولكن لابد وان العاصفة التى ذهبت بعقلها كانت شديدة، فرأت عن ذلك فى بعض الصحف، فى مثل هذه الظروف لا يدرى الانسان ما يفعله، ولو أنها كانت تدرى لفكرت فى زوجها والأولاد..

وقالت جوانا:

– لابد أن ذلك الخطاب زلزلها من الأعماق..

احمر وجه المس بارتون وقالت بوجل:

– ليس هذا موضوعا لطيفا للمناقشة.. أعرف أن هناك كثير من تلك الخطابات ولكننا لن نتحدث فى تلك الأمور الكريهة.. من الأفضل أن نتجاهلها.

ربما كان يسهل على المس بارتون تجاهلها. ولكن بالنسبة للآخرين

لم يكن ذلك بالأمر السهل، ولكننا غيرنا دفة الحديث وبدأنا نتحدث عن ايمى جريفيث.. وقالت اميلى بارتون:

- سيدة رائعة.. ممتازة حقا.. طاقتها وقدرتها على التنظيم رائعة.. وهى ممتازة فى معاملتها للفتيات أيضا.. أنها هى التى تدير هذا المكان فى الواقع.. وهى انسانة عملية الى حد كبير. كما انها تتفانى فى خدمة أخيها..

وسألتها جوانا بحذر:

- ألا ترينها طاغية الى حد ما؟

قالت المس بارتون بدهشة:

- لقد ضحت بالشئ الكثير من أجل شقيقها..

حولنا دفة الحديث نحو المستر باى، واكتفت المس بارتون بقولها أنه لطيف وكريم، وقالت أنه يستقبل فى بعض الأحيان زائرين غريبى الأطوار.. وعزت ذلك الى كثرة اسفاره، واتفقنا جميعا على أن كثرة الرحلات تزيد العقل معرفة واتساع أفق، وقالت المس بارتون:

- كم تمنيت أن أقوم برحلة بالسفينة.. عندما يقرأ الانسان عن تلك الرحلات يحس أنها ممتعة.

وسألتها جوانا: ولماذا لم تحققى رغبتك؟

بدأ الارتياع على وجه المس بارتون وهى تقول:

- أوه.. كلا.. ذلك مستحيل.

- ولكن لماذا.. هذه الرحلات لا تكلف الكثير.

- أوه.. ليست التكاليف وحدها.. أنا أخشى السفر وحدى..

- لا ترين ان سفر الانسان وحده يبدو غريبا؟

قالت جوانا بهدوء: كلا..

نظرت اليها المس بارتون بارتياب ثم قالت:

- كما اننى لا أعرف كيف اتصرف مع حقائبى وأنا انزل فى الموانى الغريبة.. وشئون استبدال العملة..

وتحول الحديث نحو مسز دين كالثروب، وظهر الفزع على وجه المس بارتون برهة ثم قالت:

- أنت تعرفين يا عزيزتى.. انها سيدة غريبة للغاية.. أعنى الأشياء التى تقولها.

سألتها عن تلك الأشياء وقالت:

- أوه.. لا أدرى.. انها تفتح موضوعا غير متوقعا.. كما ان نظراتها غريبة.. فضلا عن أنها لا تتدخل فى أى أمر، والمفروض فى زوجة القس أن تنصح الناس وترشدهم فى بعض الأمور.. لهذا يرهبها الناس، كما أن لديها عادة الشعور بالشفقة نحو الأشخاص الذين لا يستحقونها.

وقلت وأنا أتبادل نظرة سريعة مع جوانا:

- هذا أمر مثير للانتباه حقا.

واسترسلت مس بارتون تقول:

- ومع هذا فهى سيدة مهذبة.. مخلصة لزوجها..

سكتت المس بارتون برهة ثم قالت:

- أما بالنسبة لناظرة المدرسة فهى شابة غير مريحة بالمرة.. وعند عودتنا الى المنزل قالت جوانا عن المس بارتون:

- أنها لطيفة.

قالت جوانا لباتريدج عند العشاء أنها تتمنى أن تكون حفلة شاى ناجحة، واحمر وجه الخادمة وقالت واجمة:

- شكرا لك يا سيدتى.. ولكن اجنيس لم تأت..

- أوه.. أنا آسفة.

- لم أكترث كثيرا لذلك، انا لم أدعها للمجئ، فهى التى اتصلت بى وطلبت زيارتى.. قالت أن ثمة موضوع يشغل بالها وتحب أن تستشيرنى فيه فى يوم راحتها.. الذى يغيظنى أنها لم تتصل بى لتعتذر رغم أننى أتوقع وصول بطاقة بريدية منها غدا.. بنات اليوم لا يعرفن أصول التعامل مع الآخرين.

حاولت جوانا أن تخفف جرح مشاعرها قائلة:

- ربما شعرت بوعكة.. ألم تتصلى بها؟

- كلا يا سيدتى.. اذا كانت أجنيس تتصرف بحماقة فذلك شأنها، ولكننى سوف أعرف كيف أحاسبها عندما أراها.. غادرت باتريدج الغرفة شامخة بأنفها، وضحكت جوانا. وقلت لها: ربما كانت الفتاة تريد أن تحدثها عن خلاف وقع بينها وبين صديقتها، ولكنها لم تأت لأن الصلح تم بينهما.. وافقتى جوانا على رأيى، ثم بدأنا نتحدث حول

تلك الرسائل المجهولة، ونحن نتساءل عن المرحلة التى وصلت اليها أبحاث المفتش ناش وذلك المفتش القادم من اسكتلانديارد وقالت جوانا:

– فات أسبوع كامل منذ انتحار مسز سيمنجتون، لابد أن يكونا قد توصلا الى شئ.. بصمات أصابع أو كلمات مكتوبة بخط اليد أو شئ من هذا القبيل.

أجبتها شارد اللب، وأنا أحس بقلق متزايد فيما يتعلق بالطريقة التى قالت بها جوانا: فات أسبوع كامل.. كانت بعض شكوكى تتجه نحو وجهة معينة، وأدركت جوانا فجأة اننى غير منصت اليها، وسألتنى:

– فيم تفكر يا جيرى؟

لم أرد عليها لأن عقلى كان مشغولا بتجميع بعض الحقائق.. انتحار مسز سيمنجتون.. كانت بعد ظهر ذلك اليوم وحدها فى البيت.. وحدها لأن الخدم كانوا فى وقت راحتهم.. منذ أسبوع على وجه التحديد.. وقالت جوانا بقلق:

– جيرى.. ماذا هنالك؟

– جوانا.. ألا يأخذ الخدم راحة مرة فى الأسبوع.

– نعم.. بالتبادل بعد ظهر كل يوم سبت..

– دعنا من أيام الأحد. هل يخرجون فى نفس اليوم من كل أسبوع؟

– نعم.. هذا ما جرت به العادة.

كانت جوانا تحملق فى وجهى بدهشة، ولم يتبع عقلها نفس الخط

الذى سلك ذهنى.. عبرت الغرفة وضربت الجرس وجاءت باتريدج مسرعة، وقلت لها:

- اخبرينى يا باتريدج.. تلك الفتاة آجنيس ووديل. هل هى فى الخدمة؟

- نعم يا سيدى.. عند مسز سيمنجتون.. أو الأصح عند مستر سيمنجتون الآن.

أخذت نفسا عميقا وتطلعت الى ساعة الحائط... كانت الساعة العاشرة والنصف.

- هل تعتقدين أنها عادت الى البيت الآن؟

- نعم يا سيدى.. على الخدم أن يعودوا فى العاشرة..

وقلت: سوف أتصل تليفونيا بالمنزل..

توجهت الى الصالة. وتبعتنى جوانا وباتريدج، وكانت باتريدج بصفة خاصة غاضبة بينما كانت جوانا متحيرة، وسألتنى: ما الذى تنوى أن تفعله يا جيرى؟

- أحب أن أتأكد من أن الفتاة قد عادت بالفعل الى عملها.

حدجتنى جوانا بدهشة ولكننى لم أعبأ بنظرتها أدرت القرص. وعندما سمعت صوت ايلزى هولاند قلت لها:

- آسف لاجراء هذا الاتصال. انا جيرى بيرتون.. هل رجعت أجنيس الى البيت؟

أحسست بعد أن خرجت كلمات من فمى أننى أحمق. لأن الفتاة لو

كانت قد عادت، فكيف أشرح سبب سؤالى عنها، ورأيت بعين الخيال انتشار القصة فى ليمستوك بأسرها ثم انتشار الشائعات حول العلاقة القائمة بينى وبين أجنيس ووديل. الا آن صوت ايلزى لم يكشف عن دهشتها لهذا السؤال، وقالت:

– أجنيس؟ من المؤكد أنها عادت الآن.

لم يعد أمامى سبيل للتراجع، وقلت:

– هل تسمحين بالتأكد بنفسك يا مس هولاند؟

وضعت ايلزى هولاند السماعة وأطاعت أوامرى، وجاءت بعد قليل وقالت: فى الواقع لم تعد أجنيس الى المنزل بعد.

أدركت فى تلك اللحظة صحة ما توقعته، وسمعت جلبة فى الطرف الآخر من الخط، ثم سمعت صوت المستر سيمنجتون بنفسه يقول:

– هالو بيرتون.. ماذا هناك؟

– لم تعد خادمتك أجنيس حتى الآن.

– كلا. لقد تأكدت مس هولاند بنفسها من ذلك.. ما الذى هناك؟ هل وقع لها حادث؟

– كلا.. لم أسمع عن وقوع حادث لها..

– هل تعنى أن لديك من الأسباب ما يحملك على الاعتقاد بوقوع حادث للفتاة؟

قلت له بعبوس: لن يدهشنى ذلك..

ليلة رهيبة

قضيت ليلة مؤرقة، وكنت أفكر فى حل لذلك اللغز المحير، وأنا أحاول أن أضع المعلومات المتوافرة لدى جنبا الى جنب لكى تكتمل الصورة، ولكننى لم أستطع التوصل الى شئ..

وطافت برأسى تلك الكلمات التى ترددت أكثر من مرة خلال الفترة الماضية.. لا توجد نار بغير دخان.. لا يوجد دخان بغير نار.. الدخان؟ ساتر الدخان... كلا.. هذا تعبير عسكرى فى الحرب.. قصاصة ورق.. مجرد قصاصة ورق.. بلجيكا.. المانيا..

أخيرا استطعت النوم ورأيت فى الحلم أننى آخذ المسز كالثيروب التى تحولت الى أحد كلاب الحراسة فى نزهة وأنا أقودها من السلسلة التى تمسك بالطوق الذى يلتف حول رقبتها.

أستيقظت على رنين جرس التليفون.. رنين مستمر.. جلست فى سريرى ثم قفزت الى الأرض وأسرعت الى الطابق السفلى، ورأيت باتريدج قادمة من الباب الخلفى، ورفعت سماعة التليفون: هالو؟

– أوه.. أهذا أنت؟

كـان الصـوت لميـجـان، وفـى صـوتهـا رنـين ارتيـاح ممـزوج بالفـزع، وسمعت صوت ميجان يقول برجاء:

- أوه.. أرجوك أن تحضر.. هل ستحضر؟

وقلت لها مطمئنا: سوف آتى فى الحال. فى الحال. هل تسمعيننى؟

أعدت السماعة الى مكانها. وأسرعت الى غرفة جوانا، وقلت لها باضطراب:

- استمعى الى يا جو.. أنا ذاهب الى بيت سيمنجتون. رفعت جوانا خصلة شعرها الذهبى، وأخذت تفرك عينيها مثل الطفل الصغير، وقالت:

- ما.. ما الذى حدث؟

- لا أدرى. أنها الطفلة ميجان. طلبتنى وهى فى غاية الاضطراب.

- ماذا تظن قد حدث؟

- أعتقد أنها الفتاة أجنيس..

بينما كنت فى طريقى الى الباب بعد ارتداء ثيابى، نادتنى جوانا قائلة:

- انتظر.. سوف آتى لأقود لك السيارة..

- لا داعى لذلك.. سوف أقود السيارة بنفسى.

- لن تستطيع القيادة..

- نعم.. أستطيع.

قدت السيارة بالفعل، وشعرت ببعض الآلام، ولكننى تحاملت على نفسى حتى بلغت دار سيمنجتون.

لابد أن ميجان كانت تراقبنى، لأنها اندفعت نحو الباب، بسرعة وتعلقت بذراعى. وكان وجهها شاحبا وجسمها ينتفض، وقالت:

– أوه.. لقد جئت.. لقد جئت؟

– تماسكى يا صغيرتى.. نعم.. لقد جئت خبرينى الآن ما الذى حدث؟

ابتدأت ترتجف مرة أخرى، ولففت ذراعى حول وسطها.

وقالت بانفعال: أ.. لقد عثرت عليها.

– وجدت أجنيس؟ أين؟

– تحت السلم.. فى الدولاب تحت السلم.. الذى توضع فيه أدوات الصيد القديمة، وعصا الجولف..

أومأت برأسى، وتابعت ميجان حديثها قائلة:

– أ.. كانت داخل الدولاب.. باردة.. باردة كالثلج.. ميتة..

سألتها بدهشة: ما الذى جعلك تبحثين فى ذلك المكان.

– أ.. لا أدرى.. عندما اتصلت بنا تليفونيا بالأمس، بدأ القلق يساورنا من أجل أجنيس. وظللنا فى انتظارها بعض الوقت ولكنها لم تعد، وذهبنا الى فراشنا..

لم أستطع النوم واستيقظت فى ساعة مبكرة. ولم أر أمامى سوى روز الطاهية.. كانت فى أشد حالات القلق على أجنيس -ذهبت الى

المطبخ لأبحث عن شئ آكله، ولم تلبث روز أن جاءتنى مفزوعة لتخبرنى أن ثياب الخروج التى اعتادت أجنيس أن ترتديها فى الاجازة لا تزال موجودة فى حجرتها.. وشعرت بالدهشة وفكرت فى أن الفتاة لم تغادر البيت بالمرة، وبدأت أبحث عنها حتى فتحت الدولاب وعثرت عليها..

- هل أبلغ أحد الشرطة؟

- نعم. وهم موجودون الآن بالمنزل.. اتصل بهم زوج أمى بمجرد علمه بالأمر.. ثم.. ثم أحسست أننى لا أستطيع أن أتحمل فطلبتك.. هل ساءك ذلك؟ كلا.. بالمرة..

نظرت اليها باستغراب، وسألتها:

- ألم يعطيك أحد بعض البراندى أو القهوة.. بعد أن عثرت على الجثة؟

هزت ميجان رأسها نفيا، وصببت لعناتى على جميع أهل الدار.. ذلك الأحمق سيمنجتون لم يفكر فى شئ سوى الاتصال بالشرطة.. ولم تفكر ايلزى هولاند أو الطاهية فيما يمكن أن يحدث لفتاة حساسة مثل ميجان بعد أن شاهدت ما شاهدته، وقلت لميجان:

- تعالى معى الى المطبخ..

توجهنا الى المطبخ حيث كانت روز تشرب قدحا من الشاى الساخن، وحيتنا الطاهية وبدأت تثرثر واضعة يدها فوق قلبها وهى تصف منظر الجثة داخل الدولاب. وصرخت فى وجهها قائلا:

- صبى قدحا من الشاى للمس ميجان.. أنت تعرفين أنها تلقت صدمة عنيفة.. هل نسيت أنها هى التى عثرت على الجثة؟

أطاعت الأمر فى الحال، وقلت لميجان:

- اشربى الشاى الآن، ألا يوجد لديكم بعض البراندى يا روز..

وقالت الطاهية:

- تبقى لدينا قليل من البراندى بعد عمل البودنج فى الكريسماس..

وقلت لها: هذا يكفى.. احضريه بسرعة.

صببت لميجان بعض قطرات البراندى فى الشاى، ثم قلت لروز:

- سوف أترك الفتاة فى رعايتك، هل تستطيعين العناية بها؟

- نعم يا سيدى..

توجهت الى داخل المنزل وأنا لا ازال أغلى من الغضب على أهل المنزل الذين أهملوا ميجان تمام الاهمال. والتقيت فى الصالة بالمس هولاند، ولم يبد عليها انها فوجئت بوجودى ورأيت الكونستابل بيرت راندل واقفا بالقرب من الباب، وقالت ايلزى هولاند:

- أوه يا مستر بيرتون.. أليس ذلك فظيعا؟ من ارتكب هذا العمل الشنيع؟

- اذن فهى جريمة قتل؟

- أوه.. نعم.. ضربها القاتل على مؤخرة الرأس.. كان الدم يغطى شعرها.. أوه.. يا له من منظر بشع وهى مكومة داخل الدولاب.. من الذى قتلها؟ ما الدافع؟ المسكينة أجنيس.. أنا واثقة أنها لم تؤذ أحدا قط.

- كلا..

أدهشنى أنها متمالكة هدوء أعصابها ووجهها متورد كالعادة، وانها تستمتع بالمأساة التى وقعت.. وقالت معتذرة:

- يجب أن أذهب الى الأولاد.. فالمستر سيمنجتون شديد القلق عليهم حتى لا يصابوا بصدمة، وهو يريد منى أن أبعدهم عن المكان.

وقلت لها: كانت ميجان هى التى عثرت على الجثة.. أرجو أن يكون بعضهم يرعاها الآن..

- أوه يا الهى.. لقد نسيت عنها كل شئ.. أرجو أن تكون بخير.. أنت تعرف الاضطراب الذى حدث.. والارتباك الذى وقعت فيه.. لابد أن الفتاة المسكينة مضطربة غاية الاضطراب.. سوف أذهب لأطمئن عليها.

- أنها بخير.. روز تعنى بها الآن، وعليك رعاية الأولاد.

شكرتنى باسمة وهى تعض على أسنانها الكبيرة مثل شواهد القبور.. أنها المسئولة عن رعاية الأولاد.. أما ميجان فهى ليست مسئولية أحد فى البيت..

رأيت بابا يفتح ويخرج منه المفتش ناش قادما الى الصالة ومن خلفه سيمنجتون، وقال المفتش:

- أوه.. المستر بيرتون.. كنت على وشك الاتصال بك. أنا سعيد لأنك هنا.

لم يسألنى عن سبب وجودى فى المكان.. والتفت نحو سيمنجتون

وقال له:

- هل أستطيع أن أستخدم هذه الحجرة؟

وقال سيمنجتون: بالتأكيد.. بالتأكيد.

كان سيمنجتون رغم ضخامة جسمه يبدو مرهفا. وقال له المفتش ناش بمودة:

- لو أننى كنت مكانك يا مستر سيمنجتون لتناولت بعض الطعام.. سوف تشعر أنت والمس هولاند والمس ميجان بقدر كبير من التحسن لو أنك شربت قدحا من القهوة، وتناولت البيض والبيكون.. جريمة القتل تكون شديدة الوطء على المعدة الخاوية.

كان المفتش يتحدث بالطريقة الودية التى يخاطب بها طبيب العائلة مرضاه، وقال المستر سيمنجتون وعلى فمه ابتسامة مغتصبة:

- شكرا لك يا سيدى المفتش.. سوف أعمل بنصيحتك.

تبعت ناش الى الغرفة التى اختارها، وأغلق الباب ثم قال لى:

- لقد وصلت الى المكان بسرعة.. كيف سمعت بالجريمة؟

أخبرته أن ميجان اتصلت بى، وقال:

- سمعت أنك اتصلت بالبيت تليفونيا الليلة الماضية يا مستر بيرتون مستفسرا عن الفتاة.. لماذا؟

أخبرته بالاتصال التليفونى الذى أجرته أجنيس مع باتريدج ثم اختفاؤها. وقال:

- نعم.. فهمت..

قالها ببطء، وهو يفرك ذقنه مفكرا، ثم تنهد وقال:

- حسن.. أنها جريمة قتل هذه المرة، والسؤال المطروح الآن هو: ما الذى كانت تعرفه الفتاة؟ هل قالت شيئا لباتريدج؟

- لا أظن ذلك، ولكنك تستطيع أن تسألها.

- حسن.. سوف أحضر الى مسكنك بعد الانتهاء من هنا.

وسألته: ما الذى حدث على وجه التحديد؟ أم لعلك لم تقف على كل المعلومات بعد؟

- أعرف كل شئ تقريبا.. كان يوم راحة الخدم..

- كلتا الخادمتين؟

- نعم.. فقد اعتادت مسز سيمنجتون على أن تمنحهما الراحة فى يوم واحد، واعتادت الخادمتان على أن تعدا لأهل البيت قبل انصرافهما وجبة عشاء بارد.. بينما تقوم المس هولاند بعمل الشاى، ونظرا لأن الطاهية روز تقيم فى نيدز سيكفورد، وحتى تصل الى هناك فى يوم راحتها، فلابد لها أن تركب أتوبيس الساعة الثانية والنصف، لهذا تقوم أجنيس دائما بتنظيف المائدة بعد الغداء، على أن تقوم روز فى مقابل ذلك بغسل الأوانى فى العشاء.. وهذا ما حدث بالأمس.. خرجت روز لتلحق بأتوبيس الساعة الثانية والنصف وذهب سيمنجتون الى مكتبه فى الثالثة الا الثلث وخرجت ميجان لنزهة بالدراجة بعده بخمس دقائق.. هكذا كانت أجنيس وحدها فى البيت، على قدر ما أعرفه تغادر البيت عادة بين الثالثة والثالثة والنصف.

- ويتركون البيت خاليا؟

- الناس لا يقلقون على بيوتهم هنا ويتركونها مفتوحة وكما ذكرت كانت أجنيس وحدها فى البيت فى الساعة الثالثة الا عشر دقائق، ومن الواضح أنها لم تغادر البيت قط، لأنهم عندما عثروا على جثتها كانت ترتدى مريلة العمل والكاب.

- هل تستطيع أن تحدد موعد ارتكاب الجريمة؟

- يقول الدكتور جريفيث أن الجريمة وقعت بين الثانية والرابعة والنصف..

- كيف حدث القتل؟

- فى البداية ضربها القاتل على مؤخر الرأس، ثم طعنها بعد ذلك بسيخ مدبب فى أسفل الجمجمة فماتت فى الحال.

أشعلت سيجارة، لم تكن الصورة سارة.. وسألت:

- من الذى قتلها؟ ولماذا؟

- لا أعتقد أننا سوف نعرف الدافع على وجه التحديد. ولكننا نستطيع أن نخمن.

- هل كانت تعرف شيئا؟

- كانت تعرف بعض المعلومات.

- ألم تصرح لأحد هنا بشئ؟

- كلا على قدر ما أعرف.. كانت مضطربة.. هكذا تقول الطاهية.. منذ موت المسز سيمنجتون.. وكان قلقها يتزايد مع مرور الوقت. وكانت تقول أنها لا تعرف ما ينبغى عليها أن تفعله.

تنهد المفتش بعمق ثم استرسل قائلا:

- هكذا الحال دائما.. لا يأتون الينا.. ولو أن الفتاة جاءتنا وأخبرتنا بما يقلقها لكانت اليوم على قيد الحياة.

- ألم تذكر شيئا للطاهية؟

- كلا.. أو هذا ما تقوله روز..

وقلت له أن الأمر يبعث على الجنون، وقال المفتش:

- رغم هذا فباستطاعتنا أن نخمن يا مستر بيرتون..

نظرت اليه باحترام قائلا: هذا عمل طيب يا سيدى المفتش.

- أننى أعرف شيئا لا تعرفه يا مستر بيرتون.. كان المفروض أن يكون الخدم فى الخارج بعد ظهر اليوم الذى انتحرت فيه المسز سيمنجتون، فقد كان يوم راحتهم. ولكن أجنيس عادت الى البيت.

- هل تعرف ذلك.

- نعم.. اختلفت الفتاة مع صديقها لأنه تلقى خطابا من تلك الخطابات يقول فيه أن أجنيس على علاقة بشاب آخر.. وحدثت بينهما مشاجرة ورجعت الفتاة الى البيت غاضبة وأصرت على عدم الخروج ما لم يأت فريد صديقها ويعتذر لها. يواجه المطبخ مؤخرة البيت، بينما يواجه مخزن المؤن المكان الذى نراه الآن، وتوجد بوابة واحدة، أما أن تنفذ منها لتصل الى الباب الأمامى للمسكن، أو تسلك الممر الذى يقع على جانب البيت لتصل الى الباب الخلفى..

سكت المفتش برهة ثم أردف يقول:

– لم يصل الخطاب مسز سيمنجتون عن طريق البريد رغم وجود طابع بريد عليه حتى يبدو أن موزع البريد هو الذى جاء به.. هل تفهم ما أعنيه؟

قلت له ببطء: معنى هذا أنه وضع باليد فى صندوق البريد..

– تماما.. حدث ذلك قبيل موعد توزيع البريد بعد الظهر فى الوقت الذى كانت الفتاة تنظر من نافذة مخزن المؤن فى انتظار وصول صديقها ليعتذر لها.

– وبهذا رأت الشخص الذى يكتب تلك الخطابات المجهولة؟

– هذا ما أخمنه يا مستر بيرتون وربما أكون مخطئا.

– كلا.. لست مخطئا.. هذه نظرية بسيطة ومقنعة.. ولكن لماذا لم..

قاطعنى المفتش بسرعة قائلا:

– لم تفطن الفتاة الى حقيقة ما تراه فى تلك اللحظة.. رأت شخصا يضع خطابا فى الصندوق، وهو شخص لم تكن تعلم أن له صلة بما يجرى من الأحداث، أو بعبارة أخرى. شخصية فوق مستوى الشبهات، وعندما بدأت تفكر فى الأمر بدأ قلقها يتزايد وفكرت فى استشارة أحد.. فكان اتصالها بباتريدج.. وهنا كان على كاتب الرسائل المجهولة أن يتحرك..

سألنى المفتش عن الأشخاص الذين استمعوا الى الحديث التليفونى. وأخبرته:

- أختى وربما المس جريفيث.

- آه.. المس جريفيث.. هل كانت موجودة وقتها؟

شرحت له ما حدث، وسألنى عما اذا كانت ذاهبة الى القرية، وأخبرته أنها كانت تنوى الذهاب الى المستر باى، وقال المفتش أن الخبر بهذا يمكن أن يتسرب عن طريقين، وقلت بدهشة:

- هل تعنى أن مس جريفيث أو المستر باى قد يكون أذاع سر تلك المكالمة؟

أكد المفتش أنه فى مكان صغير كهذا تنتشر الأنباء بسرعة، كما قال أن فريد صديق أجنيس قد يكون أذاع النبأ كذلك، ثم أضاف المفتش:

- معنى هذا أن الدائرة تضيق.. ونستطيع آن نحصر شبهاتنا فى عدد محدود من الأشخاص..

وقال المفتش أنه يستبعد ناظرة المدرسة والممرضة لأنه واثق من أنهما كانتا مشغولتين بعملهما، وسألته عن رأيه فيما حدث بالأمس، وقال:

- يتلخص رأيى فى أن سيدة اتجهت نحو الباب الأمامى وضربت الجرس، وربما تكون سألت عن المس هولاند أو المس ميجان وهى تحمل طردا. وعندما استدارت أجنيس ضربتها السيدة على مؤخر رأسها ثم طعنتها فى أسفل الجمجمة.

- وهل تكون تلك مهمة سهلة بالنسبة لامرأة؟

- لا تنس أن تلك سيدة غير عادية وأجنيس نحيلة ولم تكن تشك فى سوء نية القادمة..

عندما سألته عن السبب الذى دفع القاتلة الى اخفاء الجثة داخل الدولاب قال:

- حتى لا يتم اكتشاف الجثة بسرعة وبذا لا يستطيع الطبيب أن يحدد موعد الوفاة.

- وماذا لو أن أجنيس ارتابت فى السيدة.

- كلا.. لم تكن لترتاب وهى فتاة ساذجة.. ولم تكن تتصور أنها أمام سيدة يمكن أن تقتل.

- هل كنت تشك فى ذلك؟

- كان ينبغى أن أفعل.. أثار انتحار مسز سيمنجتون فزع هذه السيدة.. هكذا ترى أننا الآن أمام شخصية محترمة وذات مركز اجتماعى مرموق.

أخبرنى ناش أنه سيقابل روز، وسألته عما اذا كان فى استطاعتى أن أرافقه ورحب بذلك، وقلت ضاحكا:

- فى الروايات عندما يرحب مفتش الشرطة بتعاون أحد الاشخاص يكون هذا الشخص فى العادة هو القاتل!

ضحك ناش وقال: بصراحة، وجودك معنا مفيد للغاية، فأنت غريب هنا وباستطاعتك أن تندس بين الناس وتعرف الكثير. ولا تنسى أن السيدة التى نبحث عنها بالغة الخطورة..

وقلت للمفتش:

- يجب أن نتخذ خطوات سريعة.

- نعم.. وتأكد أننا نعمل على محاور مختلفة فى سبيل إماطة اللثام عن هذه الجريمة.

كانت روز مشغولة بتنظيف الصحون، وبدأت تثرثر متحدثة عن تفاصيل ما حدث فى الأسبوع الماضى وكيف كانت أجنيس مرعوبة ولكنها لم تفش سر فزعها. ولم يخرج المفتش بجديد.. وخرجنا من المطبخ نبحث عن ايلزى هولاند ووجدناها تراجع الدروس للأولاد، وبعد أن شغلت الولدين بحل بعض مسائل الحساب، سألها المفتش عما اذا كانت أجنيس صرحت لها عن أسباب مخاوفها بعد انتحار مسز سيمنجتون وقالت:

- كلا.. فقد كانت قليلة الكلام..

- هل تستطيعين أن تذكرى لى ما حدث على وجه التحديد بعد ظهر الأمس؟

قالت المربية أنهم تناولوا الغذاء فى الواحدة وخرج المستر سيمنجتون ليذهب الى مكتبه، ثم صحبت الأولاد فى رحلة لصيد السمك، وتذكرت فى الطريق أنها نسيت الطعم فعادت لتأخذه، وسألها المفتش:

- هل رأيت عند عودتك ميجان أو أجنيس؟

- كانت ميجان قد خرجت ولم أر أجنيس..

- هل اعتدت على اعداد الشاى بعد ظهر الأربعاء؟

- نعم.. أعد الشاى للمستر سيمنجتون عند عودته من الخارج.. ونتناول الشاى أنا وهو مع الأولاد فى غرفة الدرس.. وميجان أيضا..

- متى عدت من الخارج؟

- فى الخامسة الا عشر دقائق.. بدأت أعد الشاى ووصل المستر سيمنجتون الذى أخبرنى أنه سيتناول الشاى معنا مما جعل الأولاد يهللون..

- ألم تلاحظى أى شئ غير عادى عند عودتك الى المنزل؟

- كلا يا سيدى المفتش.. لا شئ بالمرة.. لم تكن تتصور أن الفتاة المسكينة ترقد جثة هامدة داخل الدولاب. عندما سألها عما حدث فى الأسبوع السابق قالت:

- خرجت مع الأولاد فى نزهة الى البرارى كالعادة.. وعدت متأخرة عن موعدى بعض الشئ، ولمحت المستر سيمنجتون قادما من مكتبه، ولم أكن قد بدأت فى اعداد الشاى بعد..

- ألم تصعدى لحجرة المسز سيمنجتون؟

- أوه كلا.. أنا لا أفعل ذلك قط.. فقد اعتدت أن ارتاح بعد الغذاء.. فقد كانت تصاب بآلام عصبية بعد الأكل ووصف لها دكتور جرينيث بعض الأقراص تتناولها ثم تحاول النوم..

قال ناش كأنه يسأل سؤالا عارضا:

- معنى هذا أن أحدا لا يحمل اليها البريد؟

- بريد بعد الظهر؟ كلا.. هى التى تنزل لتأخذه بنفسها.. كانت تستيقظ عادة حوالى الرابعة.

- ألم تفكر فى أن شيئا حدث لها عندما لم تنزل من حجرتها؟

- كلا يا سيدى.. لم أكن أتصور أن شيئا يحدث لها.

كان مستر سيمنجتون يخلع سترته وأخبرته أن الشاى لم يجهز بعد، وسمعته ينادى: مونا.. مونا.. وعندما لم تجيبه زوجته صعد الى غرفتها ولابد أنها كانت صدمة شديدة له.. نادانى وطلب منى أن أبعد الأولاد ثم أتصل بدكتور جريفيث.. يا الهى.. كان شيئا فظيعا خاصة وأنها كانت مبتهجة أثناء الغذاء..

سألها ناش بحذر:

- ما رأيك فى الخطاب الذى وصل اليها يا مس هولاند؟

قالت ايلزى هولاند بأنفة:

- أوه.. أعتقد أنه شرير.. شرير..

- ليس هذا ما أعنيه.. هل تعتقدين أن ما جاء به صحيح؟

قالت ايلزى هولاند بحزم:

- كلا بالتأكيد.. ولكن المسز سيمنجتون كانت حساسة للغاية. وعندما قرأت الخطاب صدمت صدمة بالغة..

التزم المفتش الصمت برهة ثم قال:

- هل تلقيت شيئا من تلك الخطابات؟

- كلا.. كلا.. لم أتلق خطابا واحدا..

- هل أنت واثقة؟ لا تتسرعى بالاجابة.. أعرف أن بعض الناس لا يحبون الاعتراف بمثل هذه الأمور، ولكن من المهم جدا فى مثل هذه الحالات أن نعرف..

نحن نعرف أن ما تذكره الخطابات غير صحيح، لهذا لا داعى للقلق.

- ولكننى لم أتلق شيئا يا سيدى المفتش..

كانت ترفع رأسها بكبرياء، وكانت تبدو صادقة، وعند انصرافنا قال لى المفتش:

- تقول أنها لم تتسلم واحدا من تلك الخطابات ويبدو أنها قالت الحقيقة.

وعندما أخبرته أننى أصدقها، قال:

- أريد أن أعرف لماذا لم يصلها شئ من تلك الخطابات. فهى فتاة حسناء.. أليس كذلك؟

- هى أكثر من حسناء..

- تماما.. وكان ينبغى أن تكون عرضة أكثر من غيرها لتلك الخطابات المسمومة.. لماذا تركتها كاتبة الرسائل المجهولة؟

سوف أذكر هذه الحقيقة للمفتش جريفز.

وقلت له: هناك شخص آخر لم يتسلم شيئا من هذه الخطابات.. المس بارتون..

ابتسم المفتش وأخبرنى اننى مخطئ، فقد علم من فلورنس أن مخدومتها السابقة تلقت خطابا، ولكنها أنكرت خجلا من ذكر العبارات البذيئة التى وردت فى الخطاب، وعندما سألته عن مضمون الخطاب، أخبرنى أنه تضمن اتهامها بدس السم لأمها وأخواتها، وعندما قلت للمفتش أعتقد أن كاتبة الخطابات سوف تتوقف الآن، أكد لى أنها ستستمر وأن تلك هى الفرصة التى ينتظرها ليوقع بها.



من هو كاتب الخطابات؟

التقيت بميجان قبل مغادرتى المنزل، وعرضت عليها العودة معى لبعض الوقت ولكنها أصرت على البقاء فى منزلها لمساعدة الأولاد، ولكنها قالت:

– اذا حدث أى شئ هل أستطيع الاتصال بك؟

وهل تأتى؟

قلت لها بحرارة:

ـ بالتأكيد .. ولكن أى شئ كريه تتوقعين حدوثه؟

– لا أدرى.. ولكن ألا ينتظر حدوث شئ آخر؟

أشفقت على ترك الفتاة ولكننى فكرت أن ايلزى هولاند سوف ترعاها منذ اللحظة..

رافقنى المفتش الى البيت، ورويت لجوانا ما حدث بينما ذهب ناش لمقابلة باتريدج. وعاد عابس الوجه قائلا انه لم يظفر من الخادمة بجديد. سوى أنها أخبرت الخادمة المساعدة بحديث أجنيس، وأن

المسز ايمورى قد اذاعت الخبر، وتساءلت فى دهشة عن سبب توجيه الخطابات المجهولة الى وأنا وأختى غرباء لا توجد عداوة بيننا وبين أحد، وقال المفتش:

- أنت لا تعرف طبائع هؤلاء الناس.. انهم يحقدون على البشرية كلها وليس على انسان معين.

انصرف المفتش وبقيت وحدى مع جوانا التى اقترحت على أن أقوم بجولة فى القرية لأستمع الى ما يقوله الناس، وسألتنى جوانا قبل خروجى:

- هل هم واثقون من أن كاتب الرسالة امرأة؟

وقلت لها بدهشة:

- هل تتصورين أن كاتبها رجل؟

- كلا.. ليس مجرد رجل عادى.. الا يحتمل أن يكون المستر باى؟

- ولكنه تلقى واحدا من تلك الخطابات.

- هذا ما يقوله وقد يكون ممثلا قديرا..

كانت جوانا على حق عندما نصحتنى بالذهاب الى القرية، فقد كان الناس فى الشوارع يتحدثون عن الجريمة، وكان الدكتور جريفيث أول من التقيت بهم، وكان متجهما وسألته عما اذا كان يشك فى أحد معين، وقال بشرود:

- كلا.. لا أرتاب فى شخص معين.

والتقيت بعد ذلك بـ ايمى جريفيث التى بادرتنى بقولها:

– شئ فظيع.. سمعت أنك كنت هناك.. ماذا كنت تفعل فى ذلك الوقت المبكر؟

لم أشأ أن أخبرها أن ميجان اتصلت بى، وبدلا من ذلك سألتها عما قالته لميجان وكان السبب فى عودتها الى بيتها. قالت قلت لها ان فتاة فى مثل سنها لابد أن تقوم بعمل نافع، وأنها ألمحت اليها أن وجودها فى البيت أمر ضرورى بدلا من أن تترك زوج أمها وحده مع ايلزى هولاند، ثم تطرق الحديث الى المربية وقالت ايمى جريفيث أن الاشاعات قد بدأت تروج حول تفكير ايلزى هولاند فى أن تكون الزوجة الثانية للمستر سيمنجتون، ثم قالت:

– أنا ألومها عندما تفكر على هذا النحو.. فهى تتطلع الى أن تكون ربة بيت مستقر.. ولكن سيمنجتون المسكين غير متنبه اليها بعد الصدمة التى تلقاها.. وهى تبذل كل ما فى وسعها لكى تثير انتباهه وتلفت نظره الى أنه فى أشد الحاجة الى وجودها، ضحكت ايمى قائلة:

– لعلك فى دهشة شديدة يا مستر بيرتون للطريقة التى يفكر بها الناس هنا.. ولكنهم يفكرون دائما فى الأسوأ..

التقيت بعد ذلك بالمستر باى وهو يتبادل الحديث مع المس اميلى بارتون بالقرب من الكنيسة، وسألنى عن أختى ولماذا لا تشارك أهل القرية فى حديثهم عن الجريمة التى وقعت وصفت المس اميلى الجريمة بالبشاعة. قال لها المستر باى:

– ولكنك تحسين فى أعماق نفسك بالسعادة بدافع الاثارة التى

صاحبت الجريمة.

وقالت المس بارتون:

- كانت فتاة مسكينة ساذجة.. جاءتنى من الملجأ وكانت باتريدج مسرورة منها.

وقلت لها:

- كانت ذاهبة بالأمس لتتناول الشاى مع باتريدج أعتقد أنها أخبرتك بذلك؟

وقالت المس بارتون على الفور:

- نعم.. أخبرتنى بذلك.. وهذا شئ جديد علينا.. أن يستخدم الخدم تليفونات مخدوميهم..

وقال لها المستر باى:

- أنت سيدة متخلفة عن العصر.. وخوفا من أن يستمر الحديث حول الخدم، قالت:

- لقد انتشرت أنباء الجريمة بسرعة مذهلة..

وقال المستر باى:

- بالطبع.. بالطبع.. هكذا أصبحت ليستوك.. خطابات مجهولة وجرائم قتل.

وسألت اميلى بارتون:

- هل يفكر رجال الشرطة فى وجود علاقة بين انتحار مسز

وعلق المستر باى على ذلك بقوله:

– ربما لقيت الفتاة مصرعها لأنها كانت تعرف شيئا..

وقالت المس بارتون وهى تنصرف مسرعة:

– لا أستطيع أن احتمل أكثر من هذا.. لا أستطيع..

تابعها المستر باى بنظراته قائلا:

– سيدة رائعة.. انها تنتمى الى جيل القرن الماضى.. تابعت المستر باى بنظراتى ٢وهو يبتعد، بينما لمحت القس كاليب كالثروب خارجا من باب الكنيسة، وألقيت عليه التحية وسألته عما اذا كان قد سمع عن الخطابات المجهولة والجريمة التى وقعت، وقال القس بأسى:

– انها أعمال تدل على الجبن والخسة..

لم أجد شخصيات أخرى أستطيع أن أفيد من التحدث معها، وعدت الى المنزل ووجدت جوانا تفحص بعض الصور الطبية التى تركها لها الدكتور جريفيث، وسألتها عن الطبيب فقالت أنه يشعر بالتعاسة، وقلت لها:

– أعتقد أنه مشغول بالتفكير فيك.. لقد ابتلع الطعم!

قالت جوانا بانفعال:

– أسكت.. آنا لم أفعل شيئا..

– هكذا تقول النساء دائما..

أمسكت بالصورة التى كانت جوانا تفحصها وأردت أن أضعها تحت أحد الكتب الضخمة حتى أسوى أطراف الصورة غير المستوية، واخترت كتابا ضخما للمواعظ، وانفتح الكتاب بين يدى بطريقة غريبة، وعرفت على التو السبب. فقد كانت بعض الصفحات منزوعة من منتصف الكتاب.. نظرت الى صفحة العنوان وعرفت أن الكتاب منشور عام ١٨٤٠ . لقد كنت أنظر الى الكتاب الذى انتزعت منه الكلمات التى تشكل مضمون الخطابات المجهولة، وتساءلت:

ـ من الذى انتزع الصفحات؟ ربما تكون اميلى بارتون نفسها، أو قد تكون باتريدج.

ولكن كانت هناك احتمالات أخرى.. كان يستطيع أن يفعل ذلك أى شخص أتيحت له فرصة البقاء وحده فى الغرفة.. أو يستطيعه زائر له مكانة اجتماعية..

ـ أهو المستر باى؟

ـ ايمى جريفيث؟

ـ مسز دين كالثروب؟

أطلعت جوانا على اكتشافى، وقلبنا الأمر على كافة وجوهه، وحملت الكتاب الى مركز الشرطة.. ورحب رجال الشرطة بالاكتشاف. اتصل ناش بالمفتش جريفز الذى لم يكن موجودا للبحث عن بصمات أصابع على الكتاب وأن كان الأمل ضعيفا.

سألت المفتش ناش عما توصل اليه، وقال:

ـ حصرنا الشبهات فى عدد محدود بعد استبعاد من لا تشير

اليهم أصابع الاتهام..

وسألته: ومن بقى من الأشخاص؟

- مس جينش، فقد كانت على موعد مع أحد العملاء فى مكان قريب من بيت سيمنجتون، وكان يمكن أن تمر على المنزل فى طريق ذهابها وعودتها من الموعد.. الأسبوع السابق على اليوم الذى انتحرت فيه مسز سيمنجتون، وكان آخر يوم لعملها فى مكتب سيمنجتون.. تذكر المستر سيمنجتون فى البداية أنه لم يغادر مكتبه طوال فترة بعد الظهر فى ذلك اليوم، فقد كان معه السير هنرى لاشنجتون طول الوقت واتصل بالمس جينش أكثر من مرة وعرف أنها خرجت لتشترى بعض طوابع البريد وكان باستطاعتها أن ترسل الساعى ولكنها قالت أنها كانت فى حاجة الى استنشاق بعض الهواء العليل، ولكنها لم تغب فى الخارج طويلا، ولكنه فى وقت يكفى للمرور على المنزل وترك الخطاب فى صندوق البريد.

وسألته:

- ومن أيضا تضمه قائمة اتهامك؟

قال المفتش:

- أنت تفهم بالطبع أننا لا نستثنى أحدا.. أما بالنسبة للمس جريفيث فقد ذهبت بالأمس لحضور اجتماع مع المرشدات ورجعت فى وقت متأخر..

- وماذا بشأن تحركاتها فى الأسبوع الماضى؟ هل كان باستطاعتها المرور على البيت وترك خطاب؟

- هذا محتمل، فقد كانت فى جولة مشتريات فى المدينة، وينطبق نفس الشئ على المس اميلى بارتون..

هززت رأسى غير مصدق، فقد كان العثور على الكتاب فى البيت مقصودا منها بذر الشكوك حولها.. سكت المفتش برهة ثم أردف يقول:

- وهناك المستر باى.

وقاطعته قائلا بانفعال: والمستر باى أيضا؟

ابتسم ناش وهو يقول:

- أوه نعم.. فهو شخصية غريبة الأطوار وليس لديه شهود.. فقد كان فى الحديقة وحده فى كلتا المناسبتين.

- اذن فأنت لا تحصر شبهتك فى النساء فقط؟

- أنا شخصيا لا أعتقد أن رجلا هو الذى كتب الخطابات، ويشاركنى جريفز فى هذا الرأى.. لقد بحثنا تحركات جميع الأشخاص بالأمس، فهذه جريمة قتل.. وكذلك بالنسبة لأختك.. والمستر سيمنجتون لم يغادر مكتبه منذ وصوله، بينما كان الدكتور جريفيث فى جولة لزيارة بعض المرضى وقد تأكدنا من ذلك..

وقلت له ببطء:

- اذن فقائمتك تتضمن هؤلاء الأربعة: مس جنيش، مستر باى، مس جريفيث والمس بارتون؟

- أوه كلا.. لدينا اثنان آخران بالاضافة الى زوجة القس.

- هل فكرت فى زوجة القس أيضا؟

– فكرنا فى جميع الأشخاص، ولكن المسز دين كالشروب تكاد تكون أقرب الى الجنون، ويمكن أن تكون مرتكبة الجريمة، وكانت تراقب الطيور بعد ظهر الأمس، ولا تستطيع الطيور أن تشهد على ذلك.

استدار المفتش بحدة نحو أوين جريفيث الذى وصل الى مركز الشرطة قائلا أنه سمع أن المفتش سأل عنه فى الصباح، وقال له المفتش:

– ستعقد جلسة التحقيق يوم الجمعة، هل يناسبك هذا الموعد؟

– يناسبنى، وسوف أجرى تشريح الجثة مع مورسبى هذا المساء..



حيل السحرة

عقدت جلسة التحقيق بحضور جمع غفير من أهل المنطقة، وكان القرار الذى صدر:

الفاعل شخص أو أشخاص مجهولون.. وعادت ليمستوك تستأنف حياتها كما كانت من قبل.

ـ ولكن كلا.. كان الجار ينظر الى جاره بارتياب، فقد ذكر صراحة فى التحقيق أن غريبا لم يدخل القرية. ومن ثم فالقاتل حر يتجول فى القرية ولا أحد يعرف من يكون.

وهكذا أجلس مع جوانا فى المساء ندرس كل الاحتمالات.

أهو المستر باى؟

ـ المس جينش؟

ـ مسز دين كالثروب؟

ـ ايمى جريفيث؟

ـ اميلى بارتون؟ باترديج!

كنا فى حالة عصبية نترقب حدوث شئ.. وقل ظهور المفتش ناش بينما عاد جريفز..

جاءت اميلى بارتون لتشرب معنا الشاى، وجاءت ميجان لتتناول معنا الغذاء، واستمر آوين جريفيث فى زيارة مرضاه، وذهبنا نشرب كأسا من الشيرى مع مستر باى، ثم ذهبنا الى منزل القس لشرب الشاى.. وقد أسعدنى أن مسز دين كالثروب لم تقابلنا بخشونة، وكانت جلسة هادئة، حضرتها ضيفة كانت تنزل عند القس، وهى سيدة عجوز بشوشة، وتحدثنا عن أشياء كثيرة ولكن الموضوع الرئيسى ظل يتركز حول الجريمة.. كانت الضيفة -المس ماربل - مهتمة بالموضوع وقالت لمس دين كالثروب:

– ولكن خبرينى.. ماذا يقول أهل القرية وهم يفكرون؟

قالت جوانا: أعتقد أنهم يرجحون أن تكون مسز كليت، وقالت جوانا أنها عرافة القرية، وأضافت مسز كالثروب أنها تخرج فى الليالى التى يكتمل فيها القمر لتجمع الأعشاب وتحرص على أن يراها الناس، وسألت لماذا لا يشتبهون فيها الآن، وقالت مس ماربل:

– سمعت أن القتل تم بسيخ مدبب وهذا يستبعد مسز كليت. لأنها كانت تستطيع أن تسحر الفتاة لو أنها كانت تستهدف قتلها.

وتطرق الحديث الى الحلم الذى حلمته بشأن زواج دكتور جريفيث من ايلزى هولاند وصراخ مسز كالثروب مطالبة بوقف الزواج. فيما عدا أن مسز كالثروب كانت تناديني بالفعل طالبة وقف هذا الأمر.

سكتت مس ماربل برهة ثم قالت:

- لارتكاب جريمة بنجاح، يكون على الانسان استخدام حيلة مثل حيل السحرة..

- تعنين أن سرعة استخدام اليد تخدع العين؟

- ليس هذا فحسب.. عليك أن تجعل الناس ينظرون الى الشئ الخطأ فى المكان الخطأ..

وعلقت على ذلك بقولى:

- يبدو أن انظار الجميع اتجهت الى المكان الخطأ بحثا عن شخص مجنون مطلق السراح.

قالت مس ماربل بهدوء:

- من رأيى أن البحث يجب أن يتجه نحو شخص عاقل تماما..

وقلت مفكرا:

- نعم.. هذا ما قاله ناش، وأضاف انها شخصية محترمة تتمتع بمركز اجتماعى مرموق.

هزت مس ماربل رأسها مؤمنة وهى تقول:

- هذه نقطة على درجة كبيرة من الأهمية.

وقلت لمسز كالثروب:

- أما زلت تشعرين بالعطف نحو كاتب تلك الرسائل المجهولة؟

احمر وجهها وهى تقول: ولم لا؟

قالت مس ماربل باهتمام:

- أليست هذه مربية أطفال المستر سيمنجتون؟

تلك الفتاة التى رأيتها فى الحلم يا مستر بيرتون؟

- نعم..

- من المحتمل أن تكون وصلتها بعض الرسائل ولكنها لا تعترف بذلك..

وقلت بلهجة التأكيد: كلا.. وهذا رأى ناش أيضا.

وقالت مس ماربل بدهشة: يا الهى.. هذا أمر مثير حقا.. أنه أغرب شئ سمعته..

أخبرتنى جوانا فى طريق عودتنا عن المنزل أنه لم يكن ينبغى لى أن أتحدث عما قاله ناش بشأن الخطابات المجهولة لأن مسز دين كالثروب احدى المشتبه فيهم، وعدنا نتناقش فى الجريمة من جديد..

كنت بعد يومين فى طريق عودتى من اكسهامبتون، كان الوقت مساء عندما وصلت الى البلدة، ووجدت أمامى معهد السيدات غارقا فى الظلام والطرق خالية من المارة، وخيل الى اننى شاهدت شبحا يتسلل من بوابة المعهد، ودفعنى الفضول الى استطلاع الأمر..

كانت البوابة نصف مفتوحة، وترجلت من السيارة ودفعت الباب ورأيت ممرا قصيرا وأربع درجات تؤدى الى الباب. وقفت برهة مترددا، وسمعت فجأة صوت خشخشة كتلك التى تصدر عن ثوب امرأة. اتجهت بسرعة نحو مصدر الصوت فى ركن المبنى، ولكننى لم أر أحدا. استمريت فى طريقى ووجدت نفسى فى مؤخرة المبنى ولمحت على بعد قدمين نافذة مفتوحة، تسللت الى النافذة وأرهفت اذنى لأنصت، ولم

أسمع شيئات ولكننى أحسست أن شخصا موجودا بالداخل، لم تكن حالتى الصحية تسمح لى بحرية الحركة، ورغم ذلك رفعت جسمى وتسلقت النافذة وهبطت بخفة فى الداخل..

تسمرت فى مكانى برهة ومشيت فى الظلام مادا ذراعى أمامى. وسمعت أمامى جهة اليمين صوتا خافتا. أخرجت من جيبى مصباحا كشافا وأشعلته وسمعت فى الحال صوتا حاد يأمرنى بإطفاء المصباح ونفذت الأمر على الفور، حيث عرفت أنه صوت المفتش ناش، قبض المفتش على ذراعى بخشونة وقادنى الى الممر حيث لا توجد نافذة تكشف وجودنا لمن يكون فى الخارج، ثم قال لى بغضب:

- ألم تجد غير هذه اللحظة حتى تدخل يا مستر بيرتون؟

اعتذرت اليه قائلا انه خيل لى أننى وراء الشخص المطلوب.

- هذا محتمل، هل رأيت أحدا؟

- لست متأكدا ولكننى سمعت حفيف ثوب امرأة.

أومأ ناش برأسه وقال:

- نعم.. سبقك شخص الى المنزل وتردد قليلا بالقرب من النافذة ولكنه انسحب بسرعة عندما فطن الى وجودك.

اعتذرت له مرة أخرى، وقال ناش:

- أنا أتصرف على أساس أن كاتبة الرسائل المجهولة لن تتوقف.. انها قد تكون شديدة الخطورة.. معها الصفحات المنزوعة من الكتاب يمكن أن تسوغ منها مادة الخطابات، ولكنها حريصة على أن تكون

الكتابه على المظروف مطابقة للرسائل الماضية، ولا تستطيع أن تغامر باستخدام آلة كاتبة أخرى أو كتابة العنوان بخط يدها..

وسألته بدهشة:

ـ هل نعتقد حقا أنها ستستمر فى الكتابة؟

– نعم.. فهى شديدة الثقة بنفسها. وقد توقعت مجيئها الى معهد السيدات بعد حلول الظلام لاستخدام الآلة الكاتبة.

وسألته: أتعتقد أنها المس جنيش؟

– هذا محتمل.

– ألم تتأكد بعد؟

– كلا.. ولكنها امرأة شديدة المكر والدهاء..

اعتذرت للمفتش للمرة الثالثة، وقال أن ما حدث قد حدث ولعله يكون أكثر توفيقا فى المرة القادمة.

خرجت وتوجهت الى سيارتى، وفوجئت بميجان واقفة بالقرب من السيارة، وسألتها عما تفعله فى هذا الوقت، وقالت أنها خرجت للمشى ليلا. حيث يكون الجو هادئا ولا يصادف الانسان من يقطع عليه حبل تفكيره، وقلت لها:

– سوف يقلقون عليك فى المنزل.

– كلا.. أن أحدا لا يسئل ماذا أفعل ولا الى أين اذهب!

وسألتها عما اذا كانت المس هولاند تعنى بها فقالت:

– نعم.. انها حمقاء لا تستطيع أن تغير جلدها.

دعوتها لركوب السيارة حتى أوصلها للبيت، ووجدت ميجان مخطئة عندما أخبرتنى أن أحدا لا يهتم بها، فقد كان المستر سيمنجتون واقفا أمام البيت، وسألنى عما اذا كانت ميجان معى. وقلت له اننى أحضرتها الى البيت، وقال لها بخشونة:

– لا ينبغى لك أن تغادرى البيت دون أن تخبرى أحدا..

فقد كانت المس هولاند شديدة القلق عليك..

همهمت الفتاة بكلمات غير واضحة وأسرعت الى الداخل وقال لى سيمنجتون بمرارة:

– أنها مسئولية ضخمة وجود شابة محرومة من أمها.. وقد تجاوزت السن التى يمكن أن ترسلها فيها الى المدرسة..

رمقنى المستر سيمنجتون بارتياب ثم قال:

– هل أخذتها معك فى نزهة بالسيارة؟

– رأيت من الأفضل أن أترك الأمور عند هذا الحد.



رحلة الى لندن

عندما انظر الى الأحداث التى
وقعت لى فى اليوم التالى أشعر
أننى أصبت بنوبة من الجنون..

حل الموعد الشهرى الذى أعود فيه الى لندن لاستشارة طبيبى دكتور ماركوس كنت، فوجئت برفض جوانا أن تصحبنى فى الرحلة. وركبت السيارة لأتركها فى محطة ليمستوك حتى أعود من رحلتى الى لندن بالقطار، وبينما كنت فى طريقى الى المحطة رأيت ميجان تسير فى الطريق..

- وأخبرتنى أنها تتنزه سيرا على الأقدام، وعرضت عليها مرافقتى فى السيارة الى المحطة، وتركت السيارة وذهبت الى شباك التذاكر واشتريت تذكرة، ثم صعدت الى احدى مقصورات الدرجة الأولى، وفتحت الشباك بينما ميجان واقفة فى انتظار تحرك القطار، وأحسست بغضب شديد وأنا أنظر الى تلك الفتاة بثيابها الرثة وجوربها الممزق وحذائها البالى، وسألتها:

- لماذا تظهرين بهذا المظهر المزرى؟

وأجابتنى قائلة ببساطة:

- أننى أبدو هكذا منذ سنوات.. ما سبب غضبك؟

- يغضبنى أن أراك غير مهتمة بمظهرك الى هذا الحد.

قالت أن مظهرها لن يتغير مهما أحسنت اختيار ثيابها. وقلت لها:

- أريد أن أرى منظرك وقد تغير تماما.. كان يسعدنى أن آخذك الى لندن لأغير شكلك من قمة رأسك الى قدميك.

وقالت ببساطة: كم أتمنى أن أذهب معك..

انتابنى الجنون فى تلك اللحظة، وأسرعت الى الباب فى الوقت الذى بدأ القطار يتحرك فيه، وأحطت خصرها بذراعى ورفعتها بكل ما أملك من قوة، وسمعت صرخة أحد الحمالين، وعندما استقرت قدماها على أرض القطار قالت:

- لماذا فعلت ذلك؟

صرخت فى وجهها قائلا:

- أسكتى.. سوف تذهبين معى الى لندن. وسوف أريك مظهرك عندما تحاولين تغييره.. أعتقد أنك لا تعرفين لندن جيدا.

- بل أعرفها.. كنت أسير فى شوارعها وأنا ذاهبة للمدرسة..

- ولكنك سوف ترين لندن غير التى تعرفينها.

وصلنا قبل موعدى مع الطبيب بنصف ساعة، واستقلينا سيارة أجرة الى محل ميروتين -خياطة جوانا- وقلت للفتاة فى الطريق:

- سوف أقدمك على أنك احدى بنات عمى..

قلت لماري جراي الخياطة ان ميجان ابنة عمى، وأن جوانا تخلفت عن الحضور لأسباب طارئة، وأننى أريد منها أن تشرف بنفسها على تغيير ثياب الفتاة من رأسها حتى أخمص قدميها. وأن تصحبها الى الحلاق ليقص شعرها، ونظرت مارى جراى الى الفتاة ثم قالت:

- لهذه الفتاة قوام بديع..

وقلت لها باسما:

لا شك أن بعينك قدرة أشعة أكس.. لأننى أرى الفتاة لا قوام لها على الاطلاق.. سوف أعود فى السادسة.. قابلنى ماركوس كنت بسرور زائد وهو يقول أن جو الريف والهدوء والبعد عن الاثارة من العوامل التى ساعدت على سرعة شفائى، وعندما أخبرته أن جريمة وقعت فى الريف الذى نصحنى بالاقامة فيه، قلت له بحزم:

- لقد استهوتنى الاثارة ولن أترك ليستوك..

وقال الطبيب:

- اذن فقد عثرت على الشقراء المنشودة؟

- كلا بالمرة.. انما بدأت اهتم بسيكولوجية الجريمة..

نصحنى الطبيب بالحذر من القاتل، وقلت له أن القاتل امرأة، وعندئذ طلب منى أن أتناول العشاء معه لأحدثه عن التفاصيل، وأخبرته اننى مرتبط بموعد. وابتسم ابتسامة لها معناها..

وصلت الى ميروتين فى تمام السادسة، واستقبلتنى مارى جراى ضاحكة وهى تؤكد لى أننى لن أعرف الفتاة عندما أراها فى شكلها

الجديد.. وكانت مارى صادقة فى ذلك، فقد كانت ميجان ترتدى ثوبا رائعا يتناسب مع تقاطيع جسدها الممشوق، وترتدى حذاء أنيقا، بينما شعرها معقوص بطريقة تبرز جمال الوجه، وقالت ميجان:

- كيف أبدو؟ ألا ترانى لطيفة؟

قلت ان الكلمة لا تعبر عن الحقيقة، وأن عيون الرجال سوف تحملق فيها بانبهار..

- لم تكن ميجان جميلة، ولكنها تتمتع بشخصية قوية، وقد استلفتت أنظار جميع الرجال ونحن ندخل المطعم، وتناولنا الكوكتيل فى البداية ثم تعشينا، ورقصنا بعد ذلك واكتشف ان الفتاة راقصة ماهرة، وعندما سألتها اين تعلمت الرقص؟

- قالت:

- كنا نأخذ فى المدرسة حصة رقص كل أسبوع..

وقلت لها باسما:

- هذه البراعة تتطلب أكثر من درس فى الأسبوع!

كانت سهرة ممتعة، وفوجئت بالفتاة تسألنى عن موعد العودة، واكتشفت أن موعد آخر قطار فاتنا، واتصلت بأحد مكاتب ايجار السيارات، وطلبت أسرع سيارة لديهم.

- وجاءت السيارة ورغم هذا وصلنا ليمستوك فى ساعة متأخرة من الليل، وقلت للفتاة:

- لا شك أنهم كلفوا مجموعات بالبحث عنك.

وقالت ميجان بهدوء:

- لا أظن.. فقد اعتادوا خروجى وتغيبى عن الغذاء..

- ولكنك تخلفت عن شاى بعد الظهر والعشاء فى هذه المرة..

رغم هذا فقد كانت ميجان محظوظة، حيث كان البيت غارقا فى الظلام، وقذفت نافذة روز بحجر.

وانقضى بعض الوقت قبل أن تفتح لها الباب، قائلة أن السيد خرج فى نزهة بالسيارة مع ايلزى هولاند، وأنه سأل عن ميجان عند عودته. وقالت روز أنها نائمة فى فراشها.

- لأنه لم يخطر ببالها أن الفتاة فى الخارج.. القيت على ميجان تحية المساء، وعدت الى البيت لأجد جوانا مستيقظة، وسألتها:

- هل كنت قلقة على؟

- كلا بالطبع.. عندما تأخرت ظننت أنك ستبيت فى لندن.

ضحكت وأخبرتها بما حدث لى..

- وقالت بدهشة:

- ولكنك لا تستطيع أن تفعل فى الريف شيئا كهذا.. سوف تشيع القصة وتتردد فى الغد على كل لسان.

- قلت:

- أنسيت أن ميجان لا تزال طفلة؟

- كلا.. هى فى العشرين ولا تستطيع أن تشترى لها ثيابا دون

حدوث فضيحة.. ربما أصبحت ملزما بالزواج منها! كانت جوانا تقول ذلك ساخرة ولكننى قلت بجد:

- لا يهمنى ما يقوله الناس، وأنا لا أمانع فى الزواج منها..

رمقتنى جوانا بدهشة شديدة ثم نهضت قائلة:

- نعم.. كنت أعرف ذلك منذ بعض الوقت..



متاعب

لا أعرف ما هى ردود الفعل الطبيعية لدى الرجل وهو ذاهب ليطلب الزواج..

يبدو فى الروايات جاف الحلق وياقته تخنق رقبته ويشعر بشئ من الاضطراب. ولكنى لم أشعر بشئ من ذلك، فعندما نبتت الفكرة فى رأسى، قررت أن انتهى من العمل فى أسرع وقت، وتوجهت الى بيت سيمنجتون فى حوالى الساعة الحادية عشرة وضربت الجرس وفتحت لى روز، وأدخلتنى الطاهية غرفة صغيرة وتركتنى انتظر ميجان التى سألتها عنها.

عندما فتح الباب ودخلت ميجان، احسست بارتياح شديد، لأن الفتاة كانت تبدو طبيعية، وكانت فى ثيابها القديمة مرة أخرى، ولكنها كانت قد اكتسبت ثقة فى نفسها. وخيل الى أن الفتاة نمت دفعة واحدة، وقلت لها:

– استمعى الى يا ميجان.. أرجو ألا أكون قد تسببت لك فى بعض المتاعب بسبب ما حدث بالأمس؟

قالت بثقة: أوه كلا.. ولكن أعتقد أن ذلك حدث.. أعنى أنهم

سألونى أسئلة كثيرة غريبة..

قلت لها بهدوء:

- جئت هذا الصباح لأن لدى اقتراح.. أنت تعرفين أننى أشعر بميل نحوك، لهذا فكرت أن أعرض عليك الزواج.

واكتفت ميجان بقولها: أوه..

بدت عليها الدهشة ولكنها لم ترتجف، ثم قالت:

- تعنى أنك تريد أن تتزوجنى؟

- نعم.. أكثر من أى شئ آخر فى الدنيا..

- هل تقصد أنك تحبنى؟

- نعم يا ميجان.. أحبك.

وقالت ميجان ببساطة:

- أننى أعتقد أنك ألطف انسان فى الوجود. ولكننى لا أحبك.

- سوف أجعلك تحبيننى..

- هذا لا ينفع.. لا أحب لأحد أن يدفعنى الى شئ دفعا..

سكتت ميجان برهة ثم أردفت تقول بأسى:

- لست أنفعك كزوجة.. أنا من ذلك الطراز الذى يكره أكثر مما يحب.

وقلت لها: الكراهية لا تدوم ولكن الحب يستمر.

- هل هذا صحيح؟

- هل تعنين بهذا أنك ترفضين؟

- نعم.. ردى بالرفض.

- ألا تشجعيننى ببعض الأمل؟

- وما جدوى ذلك؟

وقلت لها: سوف أتشبث بالأمل سواء قلت نعم أم لا..

خرجت من المنزل والدنيا قاتمة فى عينى، واستوقفتنى روز قائلة أنها قررت البقاء لتخدم الأطفال ومستر سيمنجتون المسكين، خاصة وأن المس هولاند عرضت أن تقوم بخدمة المنزل الى جانب عملها كمربية، وهى تحاول بذلك أن تلفت نظر مخدومها لكى تحل محل الزوجة الراحلة.. فكرت فيما اذا كان ما قالته روز صحيحا.. هل تصبح ايلزى هولاند الزوجة الثانية للمستر سيمنجتون.

تستطيع أن تقول أننى عرضت الزواج على ميجان فى ظروف غير مناسبة، واننى أخذت الجزاء الذى استحقه.. ولكن الأمر لم يكن كذلك، لقد كنت واثقا أكثر من اللازم من أن الفتاة ملك لى، وأننى مسئول عن رعايتها وتوفير الحماية لها، وأننى كنت أتوقع أن تحس بذلك، وأن تدرك أن كلا منا قد خلق للآخر..

ولكننى لم أستسلم. وذهبت الى مكتب سيمنجتون.. ولم يكن المحامى مشغولا واستقبلنى فى الحال، وقلت له:

- صباح الخير.. هذه زيارة خاصة لا تتعلق بالعمل.. وسوف أدخل فى الموضوع رأسا.. لعلك لاحظت أننى أحب ميجان. ولقد عرضت عليها الزواج، ولكنها رفضت، ولكنى لم أعتبر الرفض نهائيا..

رأيت تعبيرات وجهه تتغير ولاحظت أن القلق قد بدأ يساوره، وهو يفكر فى أن الفتاة عبء عليه بعد موت أمها، وابتسم ابتسامة شاحبة، ثم قال:

- بصراحة يا مستر بيرتون.. لم تكن لدى أدنى فكرة عن شئ كهذا، أعرف أنك كنت مهتما بها بعض الشئ، ولكننا كنا ننظر اليها دائما على أنها طفلة.

وقلت له بحزم: أنها ليست طفلة.

- كلا.. كلا.. ليس بالنسبة للعجز.

وقلت له غاضبا: تصرفاتها يمكن أن تجارى سنها لو أنها أرادت ذلك.. انها لم تبلغ سن الرشد بعد، ولكنها سوف تبلغ السن بعد شهر أو شهرين، سوف أترك لك فسحة من الوقت لتستفسر عنى، أنا على درجة من الثراء وعشت حياة هادئة، وسوف أرعاها وأحاول أن أسعدها..

- تماما.. تماما.. ولكن الرأى الأخير لـ ميجان.

- سوف تستجيب فى الوقت المناسب، ولكننى أردت أن أضعك فى الصورة.

قال انه يقدر ذلك، وافترقنا صديقين.

التقيت فى الخارج بمس اميلى بارتون وكانت تحمل سلة المشتريات، وبادرتنى بقولها:

- سمعت يا مستر بيرتون أنك ذهبت الى لندن أمس.

وقلت لها: ذهبت لاستشارة طبيبى.

ابتسمت اميلى وقالت بصوت هامس:

- سمعت أن ميجان كادت ان يفوتها القطار وأنها قفزت اليه لحظة تحركه..

- من حسن الحظ أنك كنت هنالك والا وقع حادث.

أنقذنى من العجوز وصول مسز دين كالثروب فى صحبة ضيفتها، وبادرتنى مسز كالثروب بقولها:

- صباح الخير.. سمعت أنك اشتريت لميجان بعض الملابس الجديدة.. كانت لفتة طيبة من جانبك، فقد كنت قلقة من أجل هذه الفتاة..

قالت ذلك واندفعت نحو أحد المحال تاركة المس ماربل معى، وقالت الأخيرة: مسز دين كالثروب سيدة متميزة.. رأيها صائب دائما..

- رأيها يفزعنى فى بعض الأحيان.

خرجت مسز دين كالثروب من محل بيع السمك وانضمت الينا مرة أخرى وهى مبتهجة بما اشترته..

عدت الى المنزل ولم أجد جوانا التى تخلفت كذلك عن الغذاء وكانت جوانا تكثر من الخروج فى الفترة الأخيرة دون أن تعلن عن وجهتها، وعادت فى الثالثة والنصف. وسمعت صوت محرك سيارة فى الخارج وظننت أنها سيارة أوين جريفيث، وعندما تطلعت الى الخارج لم ألمح أحدا.. كانت متجهمة وظننت أن شيئا ما قد حدث.. وسألتها

عما يقلقها فقالت:

- صادفنى اليوم أفظع يوم مر بى.. خرجت لأتنزه سيرا على الأقدام، ومشيت بضعة أميال حتى وصلت الى بقعة مهجورة.. رأيت مزرعة صغيرة وتوجهت الى كوخ لأطلب بعض الماء، وما كدت أطرق الباب حتى فتح لى أوين جريفيث وهو يتوقع حضور ممرضة. ودعانى الى الدخول وأفهمنى أننى سأعمل مساعدة له فى استقبال مولود جديد.. وعندما حاولت أن أفهمه أننى لم أمارس ذلك العمل من قبل، أخبرنى أننى سأساعد امرأة مثلى، وأنه يكفى أن استمع الى تعليماته وأنفذها..

غطت جوانا وجهها بيدها كأنما لتمحو ذكريات التجربة الغريبة، وأخبرتها أن خطابا من بول فى انتظارها -وذهبت الى الصالة وأحضرت لها الخطاب.. فتحت جوانا الخطاب وتصفحته على عجل ثم قالت:

- لقد كان.. لقد كان رائعا.. الطريقة التى كافح بها.. الطريقة التى ناضل بها حتى لا ينهزم.. لقد كان فظيعا وغير محتمل فى معاملته لى.. ولكنه كان رائعا..

أدركت أنها تتحدث عن انقاذ الطبيب للوالدة والمولود، وعرفت فى تلك اللحظة أنها شفيت تماما من حب بول.



مكان امرأة ميتة

تقع الأحداث دائما على غير انتظار.
سمعت فى صباح اليوم التالى رنين
جرس التليفون، ورفعت السماعة
لاسمع صوت ناش يقول لى:

– لقد أوقعنا بها أخيرا يا مستر بيرتون..

– هل تعنى..

قاطعنى وهو يسأل عما اذا كان هناك أحد يسمع الحديث الدائر بيننا، وعندما نفيت وجود أحد طلب منى الحضور الى مركز الشرطة.. وأسرعت الى المركز حيث كان المفتش ينتظرنى وعلى فمه ابتسامة عريضة وقال:

– كانت مطاردة طويلة ولكننا نجحنا فى النهاية عرض على خطابا مكتوبا كله بالآلة الكاتبة يقول:

لا فائدة من محاولاتك للاستيلاء على مكان امرأة ميتة.. كل القرية تسخر منك.. ابتعدى الآن لأن أى تأخير لن يفيد..

ـ هذا تحذير وتذكرى ما حدث للفتاة الأخرى.. وأخرجى من هنا ولا تعودى قط..

وانتهى الخطاب ببعض كلمات بذيئة، وأخبرنى المفتش أن الخطاب وصل المس هولاند صباح اليوم، وقال السير جنت باركنز انه الخطاب الثانى، وعندما سألته عن كاتب الخطاب قال باكتئاب:

- أنا أسف.. لأن ذلك سوف يسئ الى رجل طيب. وان كنت أعتقد أن الشكوك كانت تساوره بالفعل.

ذهب ناش مع باركنز بعد الظهر ومعه أمر بالقبض على ايمى جريفيث. ودعانى المفتش لمرافقته لكى أخفف عن وقع الصدمة على الطبيب..

سألنا عن المس جريفيث عند وصولنا، واكتشفنا أن ميجان ومس هولاند وسيمنجتون موجودون لتناول الشاى، وطلب ناش من ايمى أن يتحدث معها على انفراد.

التمعت عينا سيمنجتون وقد أدرك بغريزته ما يعنيه هذا الموقف.. دخل ناش فى الموضوع رأسا وأخبر ايمى أن الاتهام الموجه اليها فى اللحظة الراهنة يتعلق بكتابة الخطابات المجهولة وليس القتل. وانفجرت ايمى ضاحكة وهى تقول: لا شك أنك تمزح..

أخرج المفتش من جيبه الخطاب المرسل الى ايلزى هولاند وأصرت ايمى على الانكار، وقال المفتش:

- شوهدت تكتبين هذا الخطاب على الآلة الكاتبة فى معهد

السيدات فيما بين الحادية عشرة والحادية عشرة والنصف مساء أول أمس.. ودخلت بالأمس مكتب البريد تحملين مجموعة من الرسائل..

انكرت انها أرسلته.. وأخبرها المفتش أنها أسقطت الخطاب على الأرض ليقوم من يعثر عليه بمهمة ارساله، واندفع سيمنجتون الى الغرفة ليعرض على ايمى جريفيث خدماته ولكنها صاحت فى وجهه بحدة:

– أخرج يا ديك.. ليس أنت! ليس أنت!

– أنت فى حاجة الى محامى يا فتاتى العزيزة..

وصاحت مرة أخرى:

- ليس أنت.. لا أحتمل ذلك!

وقال سيمنجتون:

- هل يناسبك أن أتصل بميلداى فى اكسبهامبتون ليتولى القضية؟

أومأت برأسها وكانت تبكى.. ودخل أوين جريفيث مندفعا يسأل المفتش عما يحدث، وعندما أدرك حقيقة الموقف، نظر الى ايمى التى أشاحت بوجهها قائلة:

– لا تخاطبنى.. لا تقل شيئا وأرجوك ألا تنظر فى وجهى!

خرج المفتش مع ايمى، وبقيت مع أوين أحاول التسرية عنه. وسألته عما اذا كان باستطاعتى أن أفعل شيئا وعندئذ اندفعت جوانا الى داخل الحجرة، وركعت تحت المقعد الذى ارتمى عليه أوين جريفيث

وقالت لى:

- اذهب أنت يا جيرى. هذه مهمتى أنا..

عندما عادت جوانا كانت شاحبة الوجه، وحاولت أن أسرى عنها دون جدوى، وقال بحزن:

- لم يقبل الزواج منى يا جيرى.. أنه شديد الكبرياء.. وقلت لها وأنا أيضا رفضتنى فتاتى.. يبدو أن آل بيرتون يمرون ببرج النحس.. ولكن لا تنسى أننا مازلنا معا..

جاء أوين فى اليوم التالى مشوشا وأبدت جوانا استعدادها للزواج منه فى الحال لو أنه أراد، ولكنه قال أنه لا يعرض جوانا للمهانة عندما ينتشر فى البلدة خبر القبض على أخته..

وذهبت الى البلدة ووجدت القصة على كل لسان، وعثرت الشرطة فى دولاب ايمى على الصفحات المنزوعة من الكتاب، وسألت ناش عما اذا كانوا قد عثروا على السيخ الذى ارتكبت به الجريمة فقال:

- كلا.. وليس من المحتمل أن نعثر عليه، فربما تكون الشيطانة مجنونة. ولكن ليس الى درجة احتفاظها بالسيخ، والأرجح انها غسلته من آثار الدماء وأعادته الى درج المطبخ..

ذهبت الى منزل القس والتقيت بالمس ماربل التى كانت شديدة الأسى لا تكاد تصدق أنها ايمى جريفيث وقالت:

- ولكن هذا فظيع.. عمل شرير للغاية.

وسألتها مسز دين كالثروب عن سبب انزعاجها فقالت:

- لابد أن يكون فى الأمر شئ، ولكننى أصبحت عجوزا.. أخشى أن أقول أننى صرت غبية.

التقيت بالمس ماربل مرة ثانية بعد الظهر وأنا فى طريق عودتى الى البيت، وكانت واقفة بالقرب من الجسر الصغير فى طرف القرية بالقرب من كوخ مسز كليت تتحدث مع ميجان..

كنت أريد أن أتحدث مع ميجان، وأسرعت نحوهما، ولكن ميجان استدارت بسرعة وسلكت الطريق المضاد، وغضبت وحاولت أن اتبعها، ولكن المس ماربل اعترضت طريقى قائلة:

- لا تتبعها الآن.. ليس ذلك من الحكمة..

- هذه الفتاة على قدر كبير من الشجاعة، ويجب أن تحتفظ بشجاعتها فى الظروف الراهنة.

أحسست برجفة لدى سماع كلمات العجوز، وخيل الى أنها تعرف شيئا لا أعرفه.. أحسست بالخوف لسبب غير معلوم..

التقيت بالكولونيل ابلتون الذى سألنى عن أختى، ثم أعرب عن دهشته لموضوع أخت الطبيب قائلا أنها على درجة من الجمال، ثم أضاف:

- ولكن هناك فى القرية من هى أجمل.. مربية أولاد سيمنجتون.. التقيت بها منذ بضعة أيام مع الأولاد، وكانت فى حاجة الى بكرة

صوف لتستكمل الذى تعمله، وعرضت عليها أن أوصلها الى البلدة وأعيدها بعد أن أنهى عملا لا يستغرق أكثر من عشر دقائق.. وشكرتنى بحرارة.. فتاة لطيفة حقا..

والتقيت بعد ذلك بالمس ماربل للمرة الثالثة وكان ذلك فى مركز الشرطة..

كنت أفكر فى كلمات قالتها لى ميجان: أبعدنى عن هذا المكان.. أنه مريع.. مملوء بالشر!

لماذا قالت ميجان ذلك؟

- ما هو ذلك الشر؟

- لا يوجد شئ فى وفاة مسز سيمنجتون يجعلها تحس بالشر.. لماذا دخل الفتاة ذلك الشعور؟ لماذا؟

- هل لأنها تحس أنها مسئولة عن موت أمها؟ ميجان؟ محال!

لم تكن الفتاة مسئولة عن تلك الخطابات البذيئة.. كنت أريد البقاء للإلتقاء بميجان بأى ثمن..

غادرت البيت فى التاسعة والنصف وذهبت الى دار سيمنجتون.. أسرعت الخطى لأننى كنت فى حاجة الى رؤية الفتاة.. اجتزت البوابة وصعدت الدرج.. كانت الليلة شديدة الظلمة وقد بدأ رذاذ المطر يتساقط وكانت الرؤية سيئة.

رأيت ضوءا يتسرب من احدى النوافذ.. ترددت برهة وبدلا من

التوجه الى الباب الأمامى، استدرت وسرت ببطء نحو النافذة متسترا بشجرة كبيرة.. كان الضوء يتسرب من فرجة بين الستائر، وكان من السهل مشاهدة داخل الغرفة.

كان منظرا عائليا.. سيمنجتون يجلس على أحد المقاعد الكبيرة بينما رأى ايلزى هولاند محنية فوق قميص لأحد تصلحه، وكانت ايلزى تتحدث، سمعتها تقول:

– ولكننى لا أظن يا مستر سيمنجتون أن الأولاد أصبحوا فى سن الرشد تسمح لهم بالذهاب الى مدرسة داخلية.. وقال سيمنجتون:

– ربما كنت محقة بالنسبة لبريان يا مس هولاند.. لقد قررت أن يبدأ دراسته فى نفس المدرسة الابتدائية التى درست فيها، ولكن كولين مايزال صغيرا.. وأفضل أن ينتظر عاما آخر..

– أننى افهم ما تعنيه..

حديث عائلى هادئ.. ومنظر عائلى.. ورأس ذات شعر ذهبى مشغولة باصلاح قميص ممزق.. وعندئذ فتح الباب ودخلت ميجان. وقفت مرفوعة الرأس وأدركت أنها فى حالة عصبية، فقد كانت عابسة الوجه وفى عينيها نظرات عزم وتصميم.. لم تكن تبدو كطفلة بحال من الأحوال، وقالت لسيمنجتون:

– أريد أن أتحدث معك على انفراد..

بدت الدهشة على وجه سيمنجتون، والتفتت ميجان نحو ايلزى هولاند قائلة لها:

- هل لديك مانع يا ايلزى؟

قفزت المس هولاند واقفة وهى تقول:

- أوه.. كلا بالطبع..

كانت تبدو مرتاعة، واتجهت نحو الباب، وظلت نحو المدخل صامتة لا تتحرك.. خفق قلبى بشدة، وأنا أنظر الى ذلك الجمال الخارق، ثم رأيتها تغادر الحجرة فى هدوء وتغلق الباب وراءها.. وقال سيمنجتون بضيق:

- حسن يا ميجان.. ماذا تريدين؟

اقتربت ميجان منه وهى تحملق فى وجهه، وراعتنى نظراتها، ثم فتحت شفتيها وقالت:

- أريد بعض المال.

وقال سيمنجتون بحدة:

- ألم يكن باستطاعتك الانتظار الى الصباح؟

- هل ترين دخلك غير كاف؟

- أنا أريد قدرا كبيرا من المال.

اعتدل سيمنجتون فى جلسته وقال ببرود:

- سوف تبلغين سن الرشد خلال بضعة شهور وتضعين يدك على النقود التى تركتها لك جدتك.

قالت ميجان:

- أنت لا تفهم قصدى.. أريد مالا منك أنت.. لم يحدثنى أحد عن أبى.. لم يكونوا يريدون أن أعرف. ولكننى أعرف أنه دخل السجن.. وكانت التهمة ابتزاز المال بالتهديد.

سكتت ميجان برهة ثم استرسلت تقول:

- حسن.. أنا ابنته وربما أكون قد ورثت طباعه.. على أية حال أنا أطلب منك النقود لأنك اذا لم تفعل..

توقفت مرة أخرى ثم قالت وهى تضغط على كلماتها:

- لأنك اذا لم تفعل فسوف أقول ما رأيتك تفعله بالأقراص فى ذلك اليوم فى حجرة أمى..

قال سيمنجتون بهدوء:

- لست أفهم ما تقصدينه..

أعتقد أنك تفهم جيدا ما أعنيه.

ابتسمت ميجان ولم تكن ابتسامة وديعة..

وقف سيمنجتون واتجه نحو المكتب وأخرج دفتر الشيكات ثم كتب شيكا وعاد نحو ميجان ومد يده بالشيك قائلا:

- لقد كبرت الآن وأنا أقدر رغبتك فى شراء بعض الثياب اللائقة.. اننى لا أعرف ما تتحدثين عنه ولم ألق بالا اليه.. ومع هذا فاليك الشيك..

نظرت ميجان الى الشيك ثم قالت:

– شكرا لك.. هذا يكفى فى البداية..

استدارت ميجان وغادرت الحجرة، وتابعها سيمنجتون بنظراته حتى أغلقت الباب وراءها، ثم ادار وجهه نحو النافذة، وتحركت من مكانى بسرعة وبطريقة لا شعورية واصطدمت بما خيل الى فى البداية أنه شجرة كبيرة. واكتشفت أنه المفتش ناش الذى همس فى أذنى قائلا:

– الزم الهدوء يا بيرتون.. أرجوك..

أمسك ذراعى بقوة وأرغمنى على مرافقته، وعندما بلغنا ركن البيت قلت له باضطراب:

– ليست الفتاة آمنة.. ألم تر وجهها؟

ـ يجب أن نخرجها من هنا.

قال ناش بخشونة:

– والآن. يجب أن تستمع الى جيدا يا مستر بيرتون..

ـ حسن.. لقد استمعت اليه ولم ترقنى الفكرة ولكننى اضطررت الى التسليم بوجهة نظره. واشترطت عليه البقاء فى المكان على أن أنفذ تعليماته دون مناقشة.

دخلت مع ناش وباركيز الى البيت من الباب الخلفى الذى لم يكن مغلقا، وانتظرت مع ناش على درجات السلم حتى دقت الساعة الثانية

صباحا، وعندئذ فتح باب حجرة سيمنجتون ورأيناه يغادر غرفته متوجها نحو ميجان.

تجمدت فى مكانى لأننى كنت أعرف أن السيردنت باركينز يقبع داخل الغرفة، وأنه يعرف كيف يؤدى واجبه، وبينما أنا انتظر فى مكانى وقلبى يدق بعنف، شاهدت سيمنجتون يغادر الغرفة حاملا ميجان بين ذراعيه وهو يهبط درجات السلم وأنا مختبئ مع ناش نرصد حركاته عن كثب.

تبعناه حتى دخل المطبخ، ثم فتح باب فرن الغاز ودس رأس الفتاة داخله ثم أدار مفتاح الغاز.

وفى نفس اللحظة اقتحمنا المطبخ وضغط ناش على زر النور وكانت تلك نهاية سيمنجتون.. فقد انهار تماما.. ولم يحاول المقاومة.. لقد أدرك أنه خسر الورقة الأخيرة..

حملت ميجان الى حجرتها، وبقيت فى انتظار أن تفيق وأنا ألعن ناش فى سرى، وقلت له مغيظا:

- كيف لك أن تعرف أنها ستكون بخير؟

- لقد كانت مخاطرة رهيبة.

وقال ناش بهدوء:

- لم يكن أكثر من منوم وضعه فى اللبن الذى تشربه قبل النوم.. فلم يكن يستطيع المغامرة بدس السم. فمن وجهة نظره كان يعتبر

الأمور منتهية بالقبض على المس جريفيث، ولم يكن يريد وفاة جديدة تثير الشكوك.. ولم يفكر فى استخدام العنف أو السم، ولكن لو أن الفتاة فقدت أمها، ذهبت ووضعت رأسها داخل الفرن وماتت، فسوف يقول الناس أن الفتاة كانت غير طبيعية وأن صدمة موت أمها قضت عليها..

نظرت الى ميجان بقلق وأنا أقول:

- ولكنها لم تفق بعد!

وقال ناش:

- لقد سمعت ما قاله الدكتور جريفيث.. القلب سليم والنبض عادى.. سوف تظل نائمة بعض الوقت ثم تفيق بطريقة طبيعية.

تململت ميجان فى رقدتها وتمتمت بكلمات غير واضحة، ثم غادر ناش الغرفة، وفتحت ميجان عينيها ببطء قائلة: جيرى!

- هالو يا حبيبتى..

- هل أديت دورى جيدا؟

- يبدو أنك خلقت منذ مولدك قادرة على ابتزاز المال بالتهديد!

أغلقت ميجان عينيها ثانية ثم قالت بصوت ضعيف:

- الليلة الماضية.. كنت أكتب لك.. فى حالة ما اذا حدث لى شئ.. ولكن النوم كان يغالبنى فلم أكمل الخطاب.. أنه موضوع هناك..

ذهبت لى حيث أشارت ميجان وعثرت على الخطاب الذى لم

يستكمل، وكان يبدأ بقولها: عزيزى جيرى.. كنت أقرأ أبيات شكسبير التى تقول:

- أنت بالنسبة لأفكارى، كالطعام بالنسبة للحياة.. هكذا ترى أننى بعد كل شئ أحبك.. لأن هذا هو شعورى الحقيقى..



طباع الناس

قالت مسز دين كالثروب: هكذا ترى أننى كنت محقة عندما استدعيت خبيرة!

حملقت فى وجهها.. كنا فى بيت القس والمطر ينهمر بشدة فى الخارج ونحن نستمتع بدفء نيران المدفأة، وقلت لها:

- هل فعلت ذلك حقا؟

- ومن هى الخبيرة؟

- وما هو الدور الذى لعبته؟

أشارت نحو المس ماربل قائلة:

- هذه هى خبيرتى.. جين ماربل.. انظر اليها جيدا..

هذه السيدة تعرف عن الشرور البشرية أكثر من أى انسان آخر عرفته..

قالت المس ماربل بهدوء:

- لم يكن ينبغى أن تعرضى الأمر على هذه الصورة يا عزيزتى.

- ولكنك خبيرة بطبائع الناس..

- يرى الانسان فى القرية حوله قدرا كبيرا من الطبائع البشرية كل المطلوب من الانسان أن يفتح عقله. حيث أن معظم الجرائم تكون بسيطة للغاية.. وجريمتنا هذه كانت واحدة منها..

كانت الحقيقة شديدة الوضوح ولقد كانت تحت بصرك يا مستر بيرتون..

- أقول لك بصراحة لم أفطن اليها.

- بل فطنت اليها وأنت الذى وجهت نظرى اليها.. لقد رأيت علاقة الاشياء ببعضها، ولكن ثقتك بنفسك لم تجعلك تفهم معناها.. ولنبدأ بالجملة التى كنت ترددها دائما:

- دخان بغير نار.. وقرنتها بساتر الدخان.. سوء توجيه كما ترى.. كل الناس ينظرون دائما الى الاتجاه الخاطئ.. الخطابات المجهولة.. ولكن الحقيقة أنه لم تكن هناك خطابات مجهولة..

- ولكننى أؤكد لك يا مس ماربل أنه كانت توجد خطابات.. لقد تلقيت واحدا منها.

- أوه نعم.. ولكنها لم تكن واقعية بالمرة.. حتى فى قرية مسالمة مثل ليمستوك توجد كثير من الفضائح، وأؤكد لك أن أى سيدة تعيش فى المكان كانت تعرفها وتستطيع أن تستغلها..

ـ ولكن الرجل لا يكون مهتما بها بنفس القدر.. خاصة بالنسبة لرجل كسمنجتون.. هكذا ترى لو أنك أهملت الدخان وركزت على النار لوقفت على الحقيقة، ولو أنك تركت جانبا موضوع الخطابات لوجدت شيئا واحدا حدث هو موت مسز سيمنجتون.. لهذا كان طبيعيا أن يفكر الانسان:

ـ من يستفيد من موت مسز سيمنجتون؟

ـ والرد بطبيعة الحال هو الزوج.. ولذا يكون السؤال التالى: ما هو الدافع؟ والرد هو:

ـ وجود امرأة أخرى.. وأول خبر سمعته أنه توجد مربية أطفال حسناء فى البيت.. والا ترى بذلك الامر واضحا؟

ـ المستر سيمنجتون متزوج من امرأة عصبية معتلة تعرف الانسان فى هذا العمر عندما يقع فى الحب.. يحب بجنون ولا يستطيع أن يقاوم..

وفى مكان كهذا لا يوجد حل لمشكلته سوى موت زوجته كان يرغب فى الزواج من الحسناء، وهى شخصية محترمة وهو كذلك انسان محترم، فضلا عن أنه مولع بأولاده ولا يريد أن يتخلى عنهم، كان يريد الاحتفاظ بكل شئ:

ـ البيت والأولاد وايلزى، وكانت الجريمة هى الثمن..

وفى رأيى انه اختار طريقة ذكية.. كان يعرف بحكم خبرته القانونية أن الاتهام يوجه دائما للزوج، لهذا استغل وجود الخطابات

المجهولة باعتبار أن شبهات الشرطة سوف تتركز فى امرأة وهو ما حدث بالفعل، واختلق الخطاب المرسل لزوجته..

- كان يعد لارتكاب جريمته منذ بعض الوقت.. لهذا كتب عناوين خطاباته على الآلة الكاتبة قبل أن يهديها لمعهد الفتيات، ونزع صفحات الكتاب اثناء زيارة سابقة له لبيت اميلى بارتون، واختار لتنفيذ خطته يوما تكون المربية فيه فى الخارج مع الأولاد، والخدم فى اجازة، ولكنه لم يتوقع أن تختلف اجنيس مع صديقها وتعود فجأة الى البيت.

سألت جوانا:

- ولكن ما الذى شاهدته الفتاة؟ هل تعرفين؟

- لا أعرف ولكننى استطيع أن أخمن.. وفى اعتقادى أنها لم تر شئ.. وقفت تنظر من النافذة فى انتظار صديقها..

- لم تر شيئا..

- لا عامل البريد أو أى شخص فى الخارج يضع الخطابات فى صندوق البريد.. واحتاجت الى بعض الوقت كى تدرك غرابة الامر عندما وصل لمسز سيمنجتون خطاب مجهول بعد ذلك اليوم.

وقلت لها بدهشة: ألم يصلها خطاب؟

- كلا بالطبع.. هذه الجريمة شديدة البساطة كما قلت وضع الزوج السيانيد فى كوب الماء بجانب القرص الذى ستتناوله الزوجة عندما جاءتها الأزمة بعد الغداء، وكور قطعة من الورق القاها فى النار، ثم دس فى يدها الورقة المكتوب عليها (لا أستطيع أن أتحمل أكثر من

هذا).

التفتت المس ماريل نحوى قائلة:

- كنت على حق فى ذلك أيضا.. قصاصة الورق.. الناس عندما يفكرون فى الانتحار لا يكتبون على قصاصة من الورق وانما على صفحة وغالبا ما يضعونها داخل مظروف.. نعم.. كانت القصاصة خطأ وأنت تعرف ذلك..

قلت لها بارتباك:

- ولكننى لم أكن أعرف.

- بل كنت تعرف يا مستر بيرتون..

- لقد جمعت الحقائق ووضعتها أمامى.. ووضعت أمامى أهم حقيقة وهى أن ايلزى هولاند لم تتلق واحدة من تلك الرسائل.

وقلت لها:

- ظننت أنها كتبت الرسائل المجهولة..

- كلا.. غالبا ما يرسل كاتب مثل هذه الخطابات واحدة منها لنفسه.. وقادتنى تلك الحقيقة الى فكرة.. لا يستطيع مستر سيمنجتون أن يبعث لحبيبته برسالة مملوءة بتلك الألفاظ البذيئة..

قالت جوانا:

- وقتل اجنيس؟

ـ ولكن ذلك لم يكن ضروريا؟

– ربما.. ولكنه سمعها تطلب باتريدج وظن أنها تعرف شيئا، ومن ثم لم يستطع أن يغامر بتركها تكشف السر.. وأعتقد أنه قتلها قبل ذهابه الى المكتب واخفى جثتها داخل الدولاب بينما ظل بمكتبه بعد الظهر.. وكان مطمئنا وهو يعرف أن الشكوك تتجه نحو امرأة..

سألت جوانا:

– ولكن لماذا اختار ايمى جريفيث؟

ـ أعرف ان رجال الشرطة عثروا على الهون الذى يستخدمه الطبيب فى سحق الأدوية والسيخ المدبب فى أحد ملفات القضايا بمكتب سيمنجتون.. وتعتقد الشرطة أنه استولى على الهون فى اليوم الذى القى فيه القبض على ايمى، واخفى الصفحات المنزوعة من الكتاب فى منزلها.. وهذا يعود بى الى نفس السؤال:

ـ ماذا بشأن ايمى جريفيث؟

ـ لقد رآها رجال الشرطة تكتب ذلك الخطاب؟

– نعم.. لقد كتبت ذلك الخطاب بالفعل.

– ولكن لماذا؟

– ألم تدركى أنها كانت تحب سيمنجتون طول عمرها؟

ـ وأنها بعد موت مسز سيمنجتون كانت تحلم..

ـ ولكن الاشاعات راجت عن سيمنجتون وايلزى هولاند مما اثار

ثائرتها.. وكانت ترى الفتاة غير جديرة بسيمنجتون، ولم تر بأسا فى أن تكتب واحدا من تلك الخطابات المجهولة لتتخلص من ايلزى هولاند.. وعندما اطلعت ايلزى مخدومها على الخطاب عرف على الفورمن الذى كتبه فرأى الفرصة مواتية لكى ينهى القصة لصالحه.. تصرف شرير ولكنه كان مرتاعا..

وقلت للمس ماربل:

- ولكن أمرا واحدا لا أستطيع أن اغفره لك يا مس ماربل.. تعريض حياة ميجان للخطر..

- كان ينبغى عمل شئ.. لم نكن نملك دليلا ضد ذلك الرجل الماكر، وكنت فى حاجة الى شخص يساعدنى، شخص يملك قدرا كبيرا من الشجاعة ورباطة الجأش، وعثرت على هذا الشخص.

- ولكنها كانت عرضة لخطر جسيم.

- نعم.. ولكننا لم نأت الى هذه الحياة يا مستر بيرتون لكى نتجنب المخاطر عندما تتعرض حياة الأبرياء للقتل.. هل تفهمنى؟

أومأت برأسى..

التقيت بمس اميلى بارتون ذات صباح، متوردة الوجه من شدة الانفعال. واخبرتنى انها ستقوم برحلة بحرية أخيرا. خاصة بعد أن علمت أننى سأتزوج ميجان وأعيش معها فى بيت ليتل فريتز الذى قررت شراءه منها..

- وأن رفيقتها فى الرحلة ستكون ايمى جريفيث التى تريد أن تسرى عن نفسها بعد المحنة التى مرت بها..

فى لحظة خاطفة فكرت فى مسز سيمنجتون واجنيس ووديل، وهما ترقدان الآن فى قبريهما وأنا اهمس لنفسى: لعلهما ترضيان الآن!

تمت

